بقلم: إبراهيم مصطفى شحاتة

المرأة المسلمة

بين العبادة والتعاملات منهج وسطى من الكتاب والسنة



مقدمة الكتاب

الحمد لله الذي خلق الإنسان وميّزه بالعقل والقدرة على التمييز بين الحق والباطل، وجعل لنا في ديننا الحنيف هدىً وسنةً واضحة تنير لنا الطريق، وترسم لنا حدود التعامل مع أنفسنا ومع من حولنا.

أما بعد،

فالمرأة المسلمة هي نصف المجتمع، وهي الأساس المتين الذي تقوم عليه الأسرة، وهي اللبنة التي يبنى عليها مستقبل الأجيال. ومن هنا تأتي أهمية معرفة حقوقها وواجباتها، وحدود تعاملها في شتى مجالات الحياة، من عبادة وتعامل مع الناس في الأسواق، والعمل، والمحارم، والأقارب، والزوج، والأولاد، وكل ذلك في إطار الإسلام الوسطي المعتدل، الذي يوازن بين حقوق الإنسان وواجباته، ويرعى الحريات مع الحفاظ على القيم الأصيلة.

لقد جاء هذا الكتاب ليكون مرجعًا شاملًا وعميقًا يتناول دور المرأة المسلمة وحدود تعاملها في الحياة العملية والاجتماعية، مستنداً إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، مع استعراض لآداب وأحكام ونماذج حية من حياة نساء الإسلام الصالحات.

ونهدف من خلال هذا العمل إلى تحقيق التوازن بين تمكين المرأة في مجالات الحياة المختلفة وبين المحافظة على الحياء والالتزام الشرعي، لنبرز صورة المرأة المسلمة القوية المؤمنة التي تفي بحقوقها، وترعى حدود دينها، وتساهم في بناء مجتمعها بوعي وإخلاص.

ندعو الله أن ينفع بهذا الكتاب كل من أراد أن يعرف مكانة المرأة الحقيقية في الإسلام، وأن يسدد خطانا جميعًا لما فيه خير الفرد والمجتمع، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الإهداء

أهدي هذا الكتاب إلى الأزهر الشريف، منارة العلم والوسطية، التي لم تبخل يومًا بنشر سماحة الإسلام ورفع راية العلم، وإلى كل محبي النبي محمد صلى اللّه عليه وسلم، الذين يسيرون على نهجه في العلم والعمل.

وأهدي هذا العمل إلى معلمي الذين كانوا لي نبعًا لا ينضب من العلم والإلهام، وإلى أهلي الذين كانوا سندي ودعمي في كل خطوة، وإلى أصدقائي الذين شاركوني الأفراح والتحديات، وإلى وطني الحبيب الذي أنجبني وحملت له الحب والوفاء.

لكم جميعًا أرفع أسمى آيات الشكر والتقدير، وأسأل اللّه أن يجعل هذا الكتاب سببًا في نفعكم ورفعته، وأن يكتب أجوركم في ميزان حسناتكم.

الباب الأول: مكانة المرأة في الإسلام

الفصل الأول: تكريم المرأة في القرآن الكريم

خلق الله تعالى الإنسان وفضّله على كثيرٍ ممن خلق تفضيلًا، وجعل له الكرامة الإنسانية التي لا تُفرّق بين رجل وامرأة، قال تعالى: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ" [الإسراء: 70]،

فالخطاب هنا عام يشمل جميع البشر رجالًا ونساءً، مؤمنين ومؤمنات، وهذه الكرامة أصلٌ ثابت في الإسلام لا يسقط إلا بالكفر أو الظلم أو الفسوق.

تكريم المرأة في أصل الخلق

المرأة في ميزان الإسلام خُلقت من نفسٍ واحدة كما خُلق الرجل، قال تعالى:

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا" [النساء: 1]،

وهذا يقطع أي فكرة تُوهم أن المرأة أقل شأنًا أو منزلة في أصل خلقها، بل هي شريكة الرجل في الإنسانية والكرامة والحقوق.

تكريمها بالخطاب الإيماني المباشر

القرآن الكريم خاطب المرأة بصفتها مؤمنة، وقرنها بالرجل في الأوامر والنواهي، فقال جل وعلا:

"إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ، وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ، وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ..." [الأحزاب: 35]،

ثم ختم الآية بقوله: "أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا".

وهذا التوازن في الخطاب يثبت أن العمل الصالح معيار التفاضل بين البشر، لا الجنس أو اللون أو النسب.

تكريم المرأة بالحقوق الشرعية

من تكريم الله تعالى للمرأة أن شرع لها حقوقًا ثابتة لا يجوز التعدي عليها، منها:

حق الميراث: قال تعالى:

"لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ، مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ، نَصِيبًا مَّفْرُوضًا" [النساء: 7].

وهذا كان فتحًا عظيمًا في زمن كانت المرأة لا ترث شيئًا.

حق التعليم والتفقه: أقره القرآن ضمنيًا وحث عليه، فالنساء خوطبن بطلب العلم مثل الرجال، لأن العلم أساس العبادة.

تكريم المرأة في أدوارها الأسرية والمجتمعية

القرآن جعل الأمومة شرفًا عظيمًا ومسؤولية سامية، قال تعالى:

"وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ، حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ" [لقمان: 14]،

وهنا يُذكر الحمل والولادة وما فيه من مشقة، تكريمًا لدور الأم واعترافًا بعظيم فضلها.

كما ذكر القرآن نماذج مشرقة من النساء اللاتي كان لهن دور في نصرة الحق، مثل مريم عليها السلام التي قال الله فيها:

"وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ" [آل عمران: 42].

الفرق بين تكريم الإسلام للمرأة وظلم الجاهلية لها

في الجاهلية، كانت المرأة تُورّث كما يُورّث المتاع، وتُحرَم من الميراث، بل وتُوأد وهي حيّة خشية العار، فجاء الإسلام ليحررها من هذه القيود، قال تعالى:

"وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ" [التكوير: 8-9].

خاتمة الفصل

إن تكريم المرأة في القرآن الكريم ليس شعارات تُرفع، بل أحكام وتشريعات تحفظ لها دينها وكرامتها ودورها في الحياة، وتوازن بين حقوقها وواجباتها، لتكون عضوًا فاعلًا في بناء الأمة دون إفراط أو تفريط.

الفصل الثاني: مكانة المرأة في السنة النبوية

جاءت السنة النبوية مكمّلةً لما جاء في القرآن الكريم، ومبينةً بالتفصيل كيف حفظ الإسلام للمرأة كرامتها وحقوقها، وكيف جسّد النبي ﷺ عمليًا هذا التكريم في أقواله وأفعاله، فكانت المرأة في بيته وفي المجتمع محاطة بالعناية والتقدير.

تأكيد المساواة في الإنسانية والعبادة

النبي ﷺ قرر أن النساء شقائق الرجال في التكليف والأجر، فقال:

"إنما النساء شقائق الرجال" (رواه أحمد وأبو داود).

ومعنى "شقائق الرجال" أي مثلهن في الإنسانية والتكليف، فلا فضل لرجل على امرأة إلا بالتقوى والعمل الصالح، وهو تطبيق عملي لقوله تعالى: "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ" [الحجرات: 13].

تكريم المرأة في الحقوق الزوجية

حرص النبي ﷺ على إظهار حسن المعاملة للزوجة، فقال:

"خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي" (رواه الترمذي).

وفي هذا الحديث قاعدة عظيمة في تكريم المرأة، إذ جعل معيار الخيرية في الرجال حسن تعاملهم مع زوجاتهم، وربط ذلك بقدوته الشخصية ﷺ.

وكان النبي ﷺ يلاطف نساءه ويداعبهن، ويشاركهن الحديث والمشاعر، فقد ورد أن عائشة رضي الله عنها قالت:

"كنتُ أشرب فأناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فيّ فيشرب" (رواه مسلم)،

وهذا من أرق صور المعاملة التي تؤكد أن الزواج مودة ورحمة لا سيادة واستعلاء.

حماية المرأة من الظلم والعنف

جاءت السنة النبوية صارمة في النهي عن ظلم النساء أو الإساءة إليهن، فقال ﷺ:

"اللهم إني أحرّج حق الضعيفين: اليتيم والمرأة" (رواه النسائي).

ومعنى "أحرّج" أي أحذر تحذيرًا شديدًا من المساس بحقوقهما.

بل حتى في لحظات الوداع الأخير في حجة الوداع، أوصى النبي ﷺ بالنساء، فقال:

"استوصوا بالنساء خيرًا" (رواه البخاري ومسلم)،

وهذه وصية جامعة تختصر منهج الإسلام في معاملة المرأة.

إعطاء المرأة حقها في العلم والتعليم

كان النبي ﷺ يخصص للنساء يومًا خاصًا ليتعلمن فيه الدين، كما ورد في الصحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

"قالت النساء للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يومًا من نفسك، فوعدهن يومًا، فلقِيَهُنَّ فيه، فوعظهن وأمرهن" (رواه البخاري).

وهذا دليل واضح على أن طلب العلم حق للمرأة مثل الرجل، وأن النبي ﷺ كان يحرص على تعليمهن بلا حرج.

تمكين المرأة من المشاركة في الحياة العامة

شاركت النساء في زمن النبي ﷺ في ميادين متعددة ضمن الضوابط الشرعية، منهن من كانت تداوي الجرحى في الغزوات مثل رفيدة الأسلمية، ومنهن من كانت تشارك في البيع والشراء مثل أسماء بنت أبي بكر، ولم يمنعهن الإسلام من ذلك طالما التزمن بالحجاب والآداب الشرعية.

نماذج نبوية في تكريم المرأة

تكريم الأم: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: "يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك" (رواه البخاري ومسلم).

تكريم البنات: قال ﷺ: "من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن وأطعمهن وسقاهن وكساهن من جدته، كن له حجابًا من النار" (رواه ابن ماجه).

خاتمة الفصل

السنة النبوية ليست فقط نصوصًا تحفظ للمرأة مكانتها، بل هي منهج حياة يترجم معاني الاحترام والتقدير إلى سلوك يومي. لقد كان النبي ﷺ القدوة المثلى في معاملة النساء، جامعًا بين العدل والرحمة، ليبقى هذا النهج مصدر إلهام لكل مسلم ومسلمة في التعامل مع المرأة.

الفصل الثالث: المرأة بين الجاهلية والإسلام " نقلة حضارية

قبل أن يشرق نور الإسلام على الجزيرة العربية، كانت المرأة تعيش في ظلامٍ دامس من الظلم والإهانة، في مجتمعٍ تحكمه الأعراف القاسية والجهل المطبق. كانت تُعامل على أنها سلعة تباع وتشترى، أو عبءٍ يجب التخلص منه، حتى وصل الأمر إلى وأد البنات أحياءً خوفًا من العار أو الفقر. قال تعالى مصوراً هذا المشهد البشع: "وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ" [التكوير: 8-9].

المرأة في الجاهلية " الحرمان من الحقوق

في الجاهلية، حُرمت المرأة من أبسط حقوقها الإنسانية:

الحق في الحياة: كانت البنات يُدفنَّ أحياءً بلا ذنب.

الحق في الميراث: لم يكن للمرأة نصيب في إرث أبيها أو زوجها، بل كانت هي نفسها تُورث كما يورث المال.

الحق في اختيار الزوج: كان وليها يزوجها لمن يشاء دون استشارتها، وكأنها لا تملك إرادة.

الحق في الملكية: لم يكن لها أن تملك أو تتصرف في المال بحرية.

الإسلام يغير الصورة تماماً

جاء الإسلام ليعيد للمرأة كرامتها، ويجعلها إنسانة كاملة الحقوق والواجبات، شريكة للرجل في عمارة الأرض وعبادة الله. فغيّر المفاهيم من جذورها:

حق الحياة: حرّم الإسلام وأد البنات تحريماً قطعياً، وجعل قتل النفس جريمة عظيمة، قال تعالى:

"وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقّ" [الإسراء: 33].

حق الميراث: أعطى الإسلام المرأة نصيباً مفروضًا من الميراث، قال تعالى:

"لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ..." [النساء: 7].

حق اختيار الزوج: جعل الإسلام إذن المرأة شرطًا لصحة الزواج، فقال النبي ﷺ:

"لا تُنكَح الأيِّمُ حتى تُستأمر، ولا تُنكَح البكر حتى تُستأذن" (رواه البخاري ومسلم).

حق الملكية: أقر الإسلام للمرأة حق التملك والتصرف في أموالها دون وصاية من أحد.

المرأة في المجتمع الإسلامي الأول

بعد الإسلام، أصبح للمرأة مكانة بارزة في الحياة العامة، فهذه خديجة بنت خويلد رضي الله عنها تاجرة ناجحة، وسيدة عاقلة كانت أول من آمن بالنبي ﷺ وساندته. وهذه عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها فقيهة ومحدّثة، يرجع إليها الصحابة في مسائل العلم.

كما شاركت النساء في خدمة الجرحى في الغزوات، مثل أم عمارة التي دافعت عن النبي ﷺ يوم أحد دفاع الأبطال.

نقلة حضارية لا مثيل لها

إذا قارنا حال المرأة في الجاهلية بحالها بعد الإسلام، نجد أن الإسلام أحدث ثورة أخلاقية واجتماعية، نقلتها من القاع إلى القمة، ومن الإهمال إلى العناية، ومن الحرمان إلى التمكين، في وقت كانت فيه معظم نساء العالم محرومات من كثير من هذه الحقوق.

خاتمة الفصل

لقد كان مجيء الإسلام رحمة للمرأة، كما كان رحمة للعالمين، إذ حررها من قيود الجهل والعادات الظالمة، ورفعها إلى مقام الكرامة والإنسانية الكاملة، لتكون شريكة الرجل في بناء الحضارة على أساس من العدل والتقوى.

الفصل الرابع: حقوق المرأة في الاسلام مقارنة بالأنظمة الأخرى

من أعظم ما يميز الشريعة الإسلامية أنها ربانية المصدر، شاملة المنهج، عادلة في ميزان الحقوق والواجبات. وقد جاءت أحكامها لتضمن للمرأة حقوقها كاملة غير منقوصة، في وقت كانت فيه أغلب المجتمعات تهمش المرأة أو تجعلها في مرتبة دونية بالنسبة للرجل.

ولإدراك مدى تفرّد الإسلام، لابد أن ننظر إلى صورة المرأة في بعض الأنظمة الأخرى، ثم نرى الفارق العظيم بين تلك التصورات وبين ما جاء به القرآن والسنة.

أولًا: حقوق المرأة في الإسلام

الحق في الحياة الكريمة

الإسلام حرّم قتل النساء أو الاعتداء عليهن ظلمًا، سواء كن صغيرات أو كبيرات، قال تعالى:

"وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ" [الإسراء: 33].

الحق في الميراث

المرأة ترث نصيبًا معلومًا من تركة والديها أو أقاربها، وقد يكون أكثر من نصيب الرجل في بعض الحالات، كما في ميراث البنت الوحيدة أو الأم أحيانًا.

الحق في التعليم

النبي ﷺ قال: "طلب العلم فريضة على كل مسلم" (رواه ابن ماجه)،

وكلمة "مسلم" هنا تشمل الرجل والمرأة على حد سواء.

الحق في اختيار الزوج

الزواج في الإسلام لا يتم إلا برضا المرأة، وإلا كان باطلًا، وقد نهى النبي ﷺ عن إجبار المرأة على الزواج.

الحق في التملك والتصرف

الإسلام أقر للمرأة ذمة مالية مستقلة، فلها أن تبيع وتشتري وتهب وتتصرف في مالها دون إذن وليها.

ثانيًا: صورة المرأة في الحضارات القديمة

في الحضارة الرومانية

كانت المرأة تحت وصاية الرجل طول حياتها، إما أبيها أو زوجها، ولا تملك حرية التصرف في أموالها. وكانت تُعتبر ناقصة عقل، ولا تصلح للشهادة في المحاكم إلا في أضيق الحدود.

في الحضارة الفارسية

كانت المرأة تُعامل كجزء من ممتلكات الرجل، ويحق للرجل أن يتزوج بعدد كبير بلا ضوابط، بل ويمارس زواج المحارم في بعض الطوائف الوثنية.

في الجاهلية العربية

كانت البنات يُوأدن أحياءً خشية العار أو الفقر، وتحرم المرأة من الميراث، ويحق لوليها أن يزوجها لمن يشاء دون موافقتها.

ثالثًا: المرأة في الأنظمة الغربية الحديثة

رغم الشعارات المرفوعة عن الحرية والمساواة، فإن كثيرًا من الحقوق التي تدّعيها المجتمعات الغربية لم تُمنح للمرأة إلا في القرون الأخيرة، بعد نضال طويل، ومع ذلك ما زالت المرأة تُستغل في صور متعددة:

استغلال جسدها في الإعلانات والتسويق.

الضغط عليها للخروج عن طبيعتها الفطرية بدعوى المساواة المطلقة.

تفكيك الأسرة من خلال تشجيع العلاقات خارج إطار الزواج.

الفارق الجوهري بين الإسلام وغيره

الإسلام يوازن بين الحق والواجب، ويمزج بين الحرية والانضباط، ويضع أحكامه وفق فطرة الإنسان، فيحفظ للمرأة كرامتها دون أن يحمّلها ما لا تطيق، ويحميها من الظلم دون أن يعزلها عن دورها في الحياة العامة.

قال تعالى: "وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ" [البقرة: 228]،

وهذه الدرجة ليست تفضيلًا مطلقًا، بل هي تكليف بالمسؤولية والرعاية والحماية.

خاتمة الفصل

حقوق المرأة في الإسلام ليست منحة بشرية يمكن إلغاؤها أو تعديلها، بل هي أوامر وتشريعات من خالق البشر، تضمن لها الكرامة والأمان، وتجمع بين الدنيا والآخرة، في حين أن الأنظمة الأخرى، مهما بدت براقة، فإنها قابلة للتغيير تبعًا لأهواء البشر ومصالحهم.

الفصل الخامس: الفهم الوسطي لدور المرأة بين الغلو والتفريط

منهج الإسلام في النظر إلى المرأة قائم على الوسطية والاعتدال، بعيد عن الغلو المبالغ فيه في رفع المرأة فوق طبيعتها الفطرية، وبعيد أيضًا عن التفريط الذي يحط من شأنها أو يحرمها من حقوقها. وهذه الوسطية ليست اجتهادًا بشريًا، بل هي توجيه إلهي رسمه القرآن الكريم وطبّقته السنة النبوية.

قال تعالى: "وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا" [البقرة: 143]،

والوسطية هنا منهج عام يشمل جميع جوانب الحياة، ومنها فهم دور المرأة ومكانتها.

أولًا: الغلو في النظر إلى المرأة

الغلو قد يتخذ أشكالًا متعددة، منها:

رفع المرأة فوق تكاليفها الشرعية بحيث تُعفى من واجباتها الأسرية أو الدينية بدعوى الحرية المطلقة.

تحميل المرأة مسؤوليات الرجل كاملة، بدعوى المساواة، مما يرهقها ويعرضها لمشقة تفوق قدرتها الفطرية.

إعطاؤها سلطة مطلقة على حساب الأسرة، مما يؤدي إلى ضعف دور الزوج أو انهيار الترابط الأسري.

هذا النوع من الغلو قد يبدو ظاهريًا دفاعًا عن المرأة، لكنه في الحقيقة إضرار بها، لأنه يصطدم بفطرتها التي فطرها الله عليها، ويجرها إلى أدوار ليست في مصلحتها على المدى البعيد.

ثانيًا: التفريط في حق المرأة

على الجانب الآخر، هناك التفريط، وهو إهدار حقوق المرأة وتهميش دورها، ومن صوره:

حرمانها من التعليم بحجة أن المرأة لا تحتاج إلى علم.

منعها من التصرف في أموالها رغم أن الشرع أقر لها بذلك.

تقييد حركتها الاجتماعية والدعوية بما يخالف ما فعله النبي ﷺ مع النساء في عصره.

حصرها في كونها وسيلة لخدمة الرجل فقط، دون اعتبار لشخصيتها واستقلالها.

التفريط بهذا الشكل يجعل المرأة أسيرة الجهل والضعف، ويهدر طاقاتها التي يمكن أن تسهم في نهضة الأمة.

ثالثًا: المنهج الوسطي في الإسلام

الإسلام رسم طريقًا وسطًا بين هذين النقيضين:

أعطى المرأة حقوقها في الميراث، والتعليم، والعمل المباح، والتملك، واختيار الزوج.

كلّفها بواجباتها تجاه أسرتها، وأمرها بالحشمة والعفة، وألزمها بطاعة اللّه ورسوله في كل شأن.

فتح أمامها أبواب الخير في ميادين الدعوة، والعمل الخيري، والتربية، مع وضع الضوابط التي تحميها من الفتنة والضرر.

قال النبي ﷺ: "إنما النساء شقائق الرجال" (رواه أحمد وأبو داود)،

فهي شريكة له في التكليف والأجر، لكن لكل منهما طبيعته ووظيفته التي تميز دوره في الحياة.

رابعًا: الوسطية في التطبيق العملي

في الأسرة: الزوج راعٍ والزوجة راعية، وكل منهما مسؤول أمام اللّه عن أمانته، كما في الحديث:

"والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها" (رواه البخاري ومسلم).

في المجتمع: المرأة تشارك في مجالات الخير والعلم والعمل ضمن حدود الشريعة، دون إفراط أو انحلال، ودون تضييق أو تعطيل.

في التربية: الأم تعلّم أبناءها الدين والدنيا، وتغرس القيم، وتعدّهم لمواجهة تحديات الحياة.

خاتمة الفصل

المنهج الوسطي في الإسلام يجعل المرأة مكرّمة ومحترمة، ذات مكانة وحقوق، وفي الوقت نفسه يجنّبها أضرار الغلو أو التفريط. وهو منهج يحفظ التوازن في الأسرة والمجتمع، ويحقق السعادة في الدنيا والآخرة، لأن أساسه وحي اللّه لا أهواء البشر.

الباب الثاني: عبادة المرأة وعلاقتها بربها

الفصل الأول: عبادة المرأة المسلمة بين الفرض والنفل

لقد جاء الإسلام ليضع ميزان العدل بين الواجبات والحقوق، وليضبط أداء المرأة للعبادة وفق طبيعتها وقدراتها. فاللّه سبحانه وتعالى لم يُكلفها بما لا تطيق، بل جعل عبادتها طريقًا ميسرًا يراعي دورها في الحياة. ومن أعظم العبادات التي أمر اللّه بها المرأة:

الصلاة:

الصلاة هي عمود الدين، وقد فرضها اللّه على المرأة كما فرضها على الرجل، في أوقاتها المحددة، بشروطها وأركانها. غير أن الشريعة راعت خصوصيتها في أوقات العذر الشرعي كالحَيض والنفاس، فأسقطت عنها أداء الصلاة في تلك الأيام، رحمة بها، دون أن تأمرها بالقضاء بعد الطهر، كما جاء في حديث عائشة رضي اللّه عنها: "كنا نحيض على عهد رسول اللّه ﷺ فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة" (رواه مسلم).

الصيام:

صيام رمضان فريضة على المرأة المسلمة البالغة العاقلة، وهو عبادة تزكي النفس وتربي الإرادة. وقد راعت الشريعة حالتها الصحية والشرعية، فأذنت لها بالإفطار في أيام الحيض والنفاس على أن تقضيها بعد الطهر، وأعذرتها في حال المرض أو الحمل أو الرضاعة إذا خافت على نفسها أو ولدها، كما قال اللّه تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: 184].

الزكاة:

تجب الزكاة على المرأة في مالها إذا بلغ النصاب وحال عليه الحول، سواء كان مالها من كسبها أو من ميراث أو هدية. وقد كانت الصحابيات رضي اللّه عنهن يخرجن زكاة أموالهن طاعة للّه، ومنهن زينب امرأة عبد اللّه بن مسعود التي جاءت تسأل النبي ﷺ عن إخراج زكاتها لزوجها وعيالها، فقال لها: "لك أجران، أجر القرابة وأجر الصدقة" (رواه البخاري).

الحج:

الحج ركن من أركان الإسلام، واجب على المرأة المستطيعة ماديًا وبدنيًا، بشرط أن تسافر مع محرم يؤمّن لها الطريق ويحفظها. وقد حج نساء الصحابة مع النبي ﷺ في حجة الوداع ملتزمات بالحجاب والوقار، وأدَّين المناسك كما أداها الرجال مع مراعاة خصوصيتهن.

النوافل والسنن:

إلى جانب الفرائض، شجَّع الإسلام المرأة على الإكثار من النوافل كقيام الليل، وصيام التطوع، وذكر اللّه، وقراءة القرآن. لكن الشريعة وضعت ميزانًا حتى لا تنشغل المرأة بالنفل عن واجبها تجاه أسرتها وبيتها. فقد قالت عائشة رضي اللّه عنها: "إن لزوجك عليك حقًا، وإن لزورك عليك حقًا، وإن لجسدك عليك حقًا" (رواه البخاري).

وبهذا يتضح أن عبادة المرأة في الإسلام ليست مجرد طقوس، بل هي منهج حياة متوازن، يربط قلبها باللّه ويجعل كل عمل صالح تقوم به " ولو كان في بيتها " عبادةً إذا نوت به وجه اللّه

الفصل الثاني: حجاب المرأة بين العبادة والهوية

الحجاب في الإسلام ليس مجرد قطعة قماش توضع على الرأس، بل هو مظهر من مظاهر العبودية لله، وشعيرة عظيمة تعبّر عن هوية المرأة المسلمة وانتمائها لدينها. وقد شرعه الله صيانةً لها، ورفعةً لشأنها، وحمايةً لكرامتها من أعين الطامعين، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: 59].

الحجاب كعبادة

إن ارتداء الحجاب استجابة لأمر الله طاعة وعبادة، فهو يدخل في قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: 36]. والمرأة حين تلتزم به فإنها تحيي سنة أمهات المؤمنين والصحابة الصالحات، وتستشعر أنها تؤدي فرضًا تعبديًا يعبر عن ولائها لله ورسوله ﷺ.

الحجاب كهوية

الحجاب يعلن هوية المرأة المسلمة أينما كانت، فهو يميزها عن غيرها في المظهر، ويجعلها سفيرة لقيم العفة والطهر في المجتمع. ومهما حاولت التيارات المعادية أن تصور الحجاب على أنه عادة اجتماعية أو رمز تخلف، فإن الحقيقة أنه راية إيمانية. ولقد كانت النساء في عهد النبي ﷺ يخرجن للحاجة وهن ملتزمات بحجابهن الكامل، فلا يمنعهن من الحركة والعمل، ولكنه يضبط إطارهن في الحياة.

صفات الحجاب الشرعي

جاءت النصوص الشرعية لتحدد أوصاف الحجاب الذي يحقق الغاية منه، ومن ذلك:

أن يكون ساترًا لجميع الجسد عدا الوجه والكفين على القول الراجح، أو حتى الوجه والكفين على قول من يرى وجوب سترهما.

ألا يكون زينة في نفسه أو ملفتًا للنظر.

ألا يصف ما تحته من الجسم.

ألا يكون شفافًا أو ضيقًا.

ألا يشبه لباس الرجال أو لباس الكافرات.

الحجاب بين الثبات والتحديات

في زمن الفتن، تتعرض المرأة لضغوط هائلة للتخلي عن حجابها، سواء من خلال الإعلام، أو الأصدقاء، أو حتى بعض أفراد العائلة. لكن الثبات على الحجاب في هذه الظروف يعد من أعظم القربات، لما فيه من مجاهدة للنفس والهوى، وقد قال رسول الله ﷺ: "فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي" (رواه أبو داود).

الحجاب رسالة للعالم

الحجاب في حقيقته دعوة صامتة، إذ يرسل للعالم كله رسالة واضحة: "أنا امرأة مسلمة، أفتخر بديني وأحافظ على شرفي، وأرى طاعتي لربي فوق كل اعتبار". وهذه الرسالة قد تؤثر في قلوب من يجهلون الإسلام أكثر من ألف كلمة.

الفصل الثالث: دور المرأة في العبادات

إن العبادة هي الغاية العظمى التي خُلق الإنسان من أجلها، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، والمرأة شريكة الرجل في هذا التكليف الإلهي، لها من الواجبات والفرائض ما له، وعليها من التكاليف ما عليه، إلا ما خصّها الشرع برخصة أو تخفيفٍ مراعاةً لطبيعتها.

فالمرأة المسلمة تؤدي أركان الإسلام الخمسة كما يؤديها الرجل، بدءاً من الشهادتين التي هي مفتاح الدخول في الإسلام، مروراً بـ الصلاة التي هي عمود الدين، حيث يجب عليها أن تحافظ على الصلوات الخمس في أوقاتها، بخشوع القلب وحضور الجوارح، وهي مأجورة على صلاتها في بيتها كما أن الرجل مأجور على صلاته في المسجد، فقد قال النبي ﷺ: "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، وبيوتهن خير لهن" (رواه أبو داود).

كما تؤدي الزكاة إذا بلغت أموالها النصاب، فتزكي مالها طهرةً لها ولمالها، وتؤدي الصوم في رمضان، وهو عبادة تصقل الروح وتربي الإرادة، وتقوم به المرأة كما يقوم به الرجل، إلا أن الشرع راعى طبيعتها فأباح لها الفطر في أيام الحيض والنفاس وقضاءها لاحقًا.

أما الحج، فإنه فريضة على المرأة المستطيعة إذا وجدت محرمًا يرافقها، فتقف بين يدي الله في بيت الله الحرام، في مشهد يساوي فيه الرجال والنساء أمام رب العالمين، في لباس الإحرام، والتلبية، والطواف، والسعي، وسائر المناسك.

وللمرأة نصيب كبير في العبادات القلبية كالإخلاص، والخشية، والتوكل، والصبر، والشكر، وهي أعمال تُحيي القلب وتقرّبه من الله، فضلًا عن الأذكار، وقراءة القرآن، والدعاء، وهي عبادات مفتوحة الأجر للرجال والنساء على حد سواء.

كما أن للمرأة دورًا خاصًا في عبادة رعاية الأسرة، فقيامها بواجباتها تجاه زوجها وأبنائها إذا نوت به وجه الله فهو عبادة يؤجرها الله عليها، قال النبي ﷺ: "وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت عليها، حتى ما تجعل في في امرأتك" (رواه البخاري ومسلم)، وهذا يشمل المرأة إذا أطعمَت أبناءها أو رعَت زوجها بنية طاعة الله.

وهكذا، فإن عبادة المرأة ليست مقصورة على الشعائر الظاهرة فقط، بل تشمل حياتها كلها إذا نوت بها طاعة الله، فهي في عبادة مستمرة ما دامت نيتها خالصة وعملها موافقًا للشرع.

الباب الثالث: تعامل المرأة مع الأسرة (المحارم والأقارب)

الفصل الأول: برّ الوالدين / عبادة وقربة

برّ الوالدين ليس مجرد خُلق حسن تتزيّن به المرأة المسلمة، بل هو عبادة عظيمة وقربة من أجلّ القربات، قرنها الله جلّ وعلا بعبادته في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، قال تعالى:

"وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا" [النساء: 36]

فهنا جعل الله الإحسان إلى الوالدين بعد الأمر بعبادته مباشرة، إشارة إلى عِظم منزلتهما. والمرأة المسلمة " سواء كانت ابنة أو زوجة أو أم " مطالبة أن تُعطي هذا الحق حقّه كاملاً، وأن ترى في برّ والديها طاعة للّه وسبيلًا إلى رضاه.

برّ الوالدين في حياة المرأة

المرأة المسلمة تعيش مراحل مختلفة، وكل مرحلة لها شكل خاص من البر:

في مرحلة البنت: يكون البر بالطاعة لهما في المعروف، وبالاستماع إلى نصحهما، وبالحرص على رضاهما قبل أي أمر دنيوي.

بعد الزواج: يظن البعض أن ارتباط المرأة بزوجها يقلل من حق والديها، وهذا خطأ؛ فحقوق الزوج لا تُسقط حقوق الوالدين، بل يجب عليها أن توازن بذكاء وحكمة بين واجبات بيتها وبرّ والديها.

كأم: تتحول هي إلى والدة تحتاج البر من أبنائها، فتكون تجربتها مع والديها درسًا عمليًا لأبنائها في كيفية المعاملة.

البر ليس فقط في حياتهما

من عظمة الإسلام أن البر لا ينتهي بوفاة الوالدين، بل يمتد بعد موتهما. فقد سُئل النبي ﷺ عن البر بعد الوفاة فقال:

"نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما" " [رواه أبو داود]

فالمرأة المسلمة الصادقة في برّها، تستمر بالدعاء لهما، وتحرص على أعمال الخير التي تهدي ثوابها لهما.

صور البر العملية في حياة المرأة

الكلمة الطيبة: الله أمر بخفض جناح الذل للوالدين رحمة، وأن لا يخرج من فم الابنة إلا أطيب الكلام، حتى لو كانا في لحظة غضب أو عتاب.

المساعدة والخدمة: لا تستكبر المرأة عن خدمة والديها، بل تعتبر ذلك فخراً وشرفًا، وتقتدي في ذلك بالصالحات من النساء.

الاهتمام بحاجاتهما: من المأكل، والملبس، والعلاج، والسؤال عن حالهما باستمرار.

المساندة النفسية: قد تمر الأم أو الأب بضعف أو مرض أو حزن، وهنا يظهر دور الابنة في المواساة والاحتضان.

التوازن بين الحقوق: لا تفرط في حق زوجها وأولادها، ولا تقصّر في حق والديها، بل تدير وقتها بعقل وحكمة.

نماذج من حياة السلف

الفتاة التي سهرت لراحة أمها: يُروى أن فتاة من الصالحات كانت تسهر بجانب والدتها المريضة، وتقرأ القرآن بصوت خافت حتى لا تنام على خوف أو وحشة، وكانت تقول: "إن نامت أمي قريرةَ العين، أنام أنا مرتاحة الضمير".

أسماء بنت أبي بكر: حين أتتها أمها المشركة زائرة في المدينة، أمرها النبي ﷺ أن تصلها وتحسن إليها، رغم اختلاف الدين، وهذا دليل على أن البر واجب حتى لو كان أحد الوالدين غير مسلم.

ثمرات البر في الدنيا والآخرة

رضا الله: جاء في الحديث: "رضا الله في رضا الوالد، وسخط الله في سخط الوالد" " [رواه الترمذي].

بركة العمر والرزق: البر يجلب التوفيق في الحياة ويزيد البركة في الوقت والمال.

صلاح الأبناء: الجزاء من جنس العمل، فمن برّ والديه برّه أبناؤه.

طمأنينة القلب: لا يشعر العبد بسلام داخلي أعظم من شعوره أنه أرضى والديه.

في الختام

المرأة المسلمة لا ترى في برّ الوالدين مجرّد عادة اجتماعية، بل عبادة تُرفع بها الدرجات وتُغفر بها السيئات، وهي تعلم أن الطريق إلى الجنة يمرّ من بين أقدام أمها ورضا أبيها، فتجعل من حياتها لوحة برّ ملونة بالرحمة، مطرزة بالطاعة، مكللة بالدعاء.

الفصل الثاني: حدود التعامل مع المحارم في الاسلام

المحارم هم الرجال الذين حرّم الله على المرأة الزواج منهم على التأبيد، سواء بسبب القرابة أو الرضاع أو المصاهرة. وقد جاء الإسلام ليضع لهذه العلاقة ضوابط شرعية تحفظ كرامة المرأة وتصون عفتها، وتحقق الألفة والمودة بين أفراد العائلة، دون أن يتجاوز الأمر حدود الاحترام والحياء.

قال الله تعالى: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ..."

(النساء: 23)

فهؤلاء هم المحارم بالنسب، ويضاف إليهم المحارم من الرضاع، كما قال ﷺ:

"يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب" (رواه البخاري ومسلم)

والمحارم أيضًا يدخل فيهم من حُرِّمَ بسبب المصاهرة كأب الزوج وابنه، وأبناء الزوجة من غيره إذا دخل بها.

أولًا: طبيعة العلاقة بين المرأة ومحارمها

الإسلام أباح للمرأة أن تكشف أمام محارمها ما جرت العادة بكشفه في البيت كالوجه والشعر والذراعين والقدمين، ولكن ذلك لا يعني إسقاط الحياء أو الخروج عن آداب الإسلام في التعامل. فالحياء زينة المرأة في كل حال، وقد قالت السيدة فاطمة رضي الله عنها: "خير للمرأة أن لا ترى الرجال ولا يروها"، وهذا وإن كان في الأصل في الأجانب، إلا أن روح الحياء تشمل الجميع.

ثانيًا: حدود الحديث والمزاح

يجوز للمرأة أن تتحدث مع محارمها حديثًا طبيعيًا في شؤون الحياة، وأن تمازحهم مزاحًا بريئًا خاليًا من الألفاظ الموحية أو الحركات المريبة. لكن لا ينبغي أن يتحول المزاح إلى إسقاط للهيبة أو تجاوز للحدود التي تحافظ على الاحترام، لأن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم.

ثالثًا: اللباس أمام المحارم

أجمع العلماء على أن المرأة أمام محارمها لا يجب أن تحتجب احتجابها عن الأجانب، ولكنها تلتزم بستر ما بين السرة والركبة على الأقل، ويستحب ستر أكثر من ذلك حفاظًا على العفة والحياء، خاصة في زمننا الذي ضعف فيه الوازع الديني.

رابعًا: الخلوة بالمحارم

الأصل أن الخلوة بالمحارم جائزة، لكن إذا كان هناك ريبة أو فساد في الدين، فإن سد الذريعة واجب، فليس كل من كان محرمًا مأمونًا، ولهذا نجد في سيرة السلف احتياطًا في التعامل حتى مع المحارم عند وجود الفتن أو ضعف الإيمان.

خامسًا: البر والإحسان للمحارم

العلاقة مع المحارم لا تتوقف عند حدود التعامل المباح، بل تمتد لتشمل البر والإحسان، وزيارة المريض منهم، ومساعدتهم، والدعاء لهم، وتقديم العون المادي والمعنوي. قال رسول الله ﷺ:

"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه" (رواه البخاري ومسلم)

سادسًا: الحذر من التجاوزات

مع الأسف، في بعض البيئات المعاصرة، تُهمل الحدود الشرعية مع المحارم بحجة القرابة، فتحدث تجاوزات في الملبس أو المزاح أو الملامسة الجسدية، مما قد يفتح أبوابًا للشيطان. والإسلام في هذا الباب واضح؛ لا فرق بين محرم وأجنبي في تحريم أي فعل فيه ريبة أو شهوة أو فتنة.

سابعًا: القدوة في البيت

ينبغي للمرأة المسلمة أن تكون قدوة في التزام حدود التعامل مع محارمها، فلا تتساهل في اللباس أو الكلام، ولا تتجاوز حدود الأدب، لأن سلوكها قد يُقتدى به من أخواتها أو بناتها.

الفصل الثالث: حدود التعامل مع الأقارب من أبناء العم والخال وغير المحارم

إنَّ صلة الرحم من أعظم القربات وأجلّ العبادات التي أمر الله بها في كتابه، وحثَّ عليها رسوله ﷺ في سنته، وهي سبب لرضوان الله ودوام البركة في العمر والرزق، كما قال النبي ﷺ:

«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» (رواه البخاري ومسلم).

غير أن هذه الصلة لا تعني التهاون في الحدود الشرعية، أو إلغاء ما أمر الله به من الحياء والحشمة، خصوصًا مع الأقارب من غير المحارم مثل أبناء العم والخال وأبناء العمة والخالة؛ فهؤلاء، وإن كانوا من الأرحام الواجب وصلهم، إلا أنهم من الناحية الشرعية أجانب عن المرأة، لا يجوز لها أن تكشف أمامهم ما لا تكشفه أمام بقية الرجال الأجانب.

أولاً: تعريف المحارم وغير المحارم

المحارم هم الذين حرّم الله على المرأة الزواج منهم تحريمًا أبديًا، مثل الأب، والأخ، والابن، والعم، والخال، وغيرهم مما ورد في قوله تعالى:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ...﴾ [النساء: 23].

أما غير المحارم من الأقارب، فهم الذين تربطهم بها قرابة نسب أو مصاهرة، لكن لا يوجد مانع شرعي دائم من الزواج بهم، مثل ابن العم، وابن الخال، وابن العمة، وابن الخالة، وزوج الأخت، وغيرهم.

ثانيًا: حدود الزي والتستر

المرأة المسلمة مأمورة بالاحتشام أمام جميع غير المحارم، بما في ذلك الأقارب من أبناء العم والخال، فلا يجوز لها أن تُظهر زينتها إلا في الحدود التي أذن الله بها، قال تعالى:

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: 31].

وقد فسّر جمهور العلماء "ما ظهر منها" بالوجه والكفين عند الحاجة، مع مراعاة ألا يكون ذلك مصحوبًا بفتنة أو تبرج. وأجمعوا على تحريم إظهار الشعر، أو الصدر، أو الساقين، أو أي جزء من الجسد أمام غير المحارم.

ثالثًا: ضوابط الكلام والمزاح

يجوز للمرأة أن تخاطب أقاربها من غير المحارم عند الحاجة وبكلام مشروع، لكن يجب أن يكون ذلك بعيداً عن الخضوع في القول أو إظهار ما يثير الفتنة، امتثالًا لقوله تعالى:

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: 32].

وهذا يعني أن يكون الكلام جاداً، مختصراً، في حدود الأدب والحشمة، وأن تتجنب المرأة الضحك المتكلف أو المزاح المبالغ فيه أو الانفراد المطوّل.

رابعًا: مسألة الخلوة والاختلاط

نهى النبي ﷺ عن الخلوة بين المرأة والرجل الأجنبي، حتى لو كان قريبًا، فقال ﷺ:

«إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ»، فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال: «الحمو الموت» (رواه البخاري ومسلم).

والحمو هنا هو قريب الزوج غير المحرم، كأخيه وابن عمه. والحديث يشمل كل من هو غير محرم للمرأة، إذ الخلوة تفتح باب الفتنة.

لذلك، يجب أن يكون اللقاء في وجود محارم أو جمع من الناس، وأن يكون في أماكن علنية، وأن لا يكون هناك تماس جسدي أو جلوس متقارب على نحو غير لائق.

خامسًا: صلة الرحم بضوابطها

صلة الرحم مع هؤلاء الأقارب يمكن أن تكون من خلال:

تبادل الزيارات العائلية في حضور جمع من الأهل.

التواصل بالهاتف أو الرسائل عند الحاجة، دون إسراف أو حديث غير ضروري.

تهنئتهم في المناسبات، وتعزيتهم في المصائب، ومساعدتهم عند الحاجة، وكل ذلك مع حفظ الحشمة.

المشاركة في الأعمال الخيرية العائلية، أو خدمة كبار السن في العائلة، بطريقة تحفظ للمرأة وقارها.

سادسًا: أثر الالتزام بالضوابط

المرأة التي تلتزم بهذه الحدود تجمع بين أجرين:

أجر صلة الرحم، امتثالًا لأمر الله تعالى.

أجر صيانة الحياء، والابتعاد عن مواطن الفتنة.

وهكذا تكون المرأة قد واصلت أرحامها ولم تقطعهم، وفي الوقت نفسه حافظت على دينها وكرامتها.

الفصل الرابع: الاحسان إلى الإخوة والأخوات

الإخوة والأخوات هم نعمة من نعم الله عز وجل، ورابطة الدم التي تجمعهم هي من أوثق الروابط بعد رابطة الوالدين. فهم الذين يشتركون مع الإنسان في ذكريات الطفولة، وفي أحلام الشباب، وفي المواقف الحلوة والمرة على حد سواء. وقد أولى الإسلام عناية خاصة بهذه الرابطة، فجعل الإحسان إليهم، وحسن صحبتهم، والتعاون معهم في الخير، من القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه.

أولاً: مكانة الإخوة والأخوات في الإسلام

لقد أمر الله عز وجل ببر الوالدين، وقرن ذلك في كثير من الآيات بصلتهم، كما جاء في قوله تعالى:

"وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى" (النساء: 36).

و"ذوي القربى" تشمل الإخوة والأخوات، لأنهم أقرب الناس نسبًا بعد الوالدين. وقد بيَّن النبي ﷺ أن خير الناس هو من كان خيراً لأهله، فقال:

"خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي" (رواه الترمذي).

والإحسان إلى الإخوة لا يقتصر على مساعدتهم في وقت الحاجة المادية فحسب، بل يشمل الدعم النفسي، والوقوف بجانبهم في الشدائد، والفرح لفرحهم، والحزن لحزنهم، والدعاء لهم بظهر الغيب.

ثانياً: حدود التعامل مع الإخوة والأخوات

المعاملة بين الإخوة والأخوات في الإسلام تحكمها ضوابط شرعية تحفظ الحياء، وتصون الحقوق، وتبقي العلاقة نقية من أي شائبة. ومن هذه الضوابط:

الالتزام بالأدب في الحوار:

يجب أن يكون الكلام بينهم مهذبًا خاليًا من السباب أو الاستهزاء، قال الله تعالى:

"وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا" (البقرة: 83).

فإذا كان هذا الأمر موجهاً لكل الناس، فهو في حق الإخوة أولى وأوجب.

الحياء في التعامل:

الإسلام دين الحياء، وهذا يشمل حتى الإخوة والأخوات. فلا يجوز التساهل في اللباس أو الحركات أو الألفاظ التي تخدش الحياء، بحجة القرابة.

التعاون على البر والتقوى:

أن يشجع الأخ أخاه، أو الأخت أختها، أو الأخ أخته، على الصلاة، والصيام، وقراءة القرآن، وحضور مجالس العلم.

حل الخلافات سريعًا:

لا تخلو البيوت من الخلافات، لكن الواجب هو المسارعة في الإصلاح، وعدم ترك الشيطان يفسد المودة. وقد قال ﷺ: "لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثٍ" (رواه البخاري ومسلم).

ثالثاً: صور الإحسان العملي إلى الإخوة والأخوات

المشاركة في الأفراح: الحضور والمساندة في المناسبات السعيدة، وإدخال السرور على قلوبهم.

المواساة في الأحزان: الوقوف بجانبهم في أوقات الشدة، وتخفيف مصابهم بالكلمة الطيبة والمساعدة الفعلية.

المساعدة المالية: إذا احتاجوا، وكان للإنسان قدرة على العطاء، فهذا من أعظم الصدقات، لأنها صدقة وصلة في آن واحد.

النصيحة برفق: تقديم النصيحة في أمور الدين والدنيا بأسلوب لطيف، مع مراعاة مشاعرهم.

رابعاً: أثر الإحسان إلى الإخوة والأخوات في المجتمع

الإخوة الذين تسود بينهم المحبة والرحمة يشكلون أساسًا قويًا لأسرة متماسكة، والأسرة المتماسكة هي نواة المجتمع القوي. فإذا ساد التآلف بينهم، انتقل هذا الأثر الإيجابي إلى أبنائهم وأحفادهم، فتوارثت الأجيال روح المحبة والتعاون.

خاتمة الفصل

الإحسان إلى الإخوة والأخوات عبادة يغفل عنها كثير من الناس، وهي باب عظيم من أبواب مرضاة الله. وإذا كانت صلة الرحم واجبة، فإن الإحسان إلى الإخوة والأخوات هو أرقى صور هذه الصلة. ومن أعظم أسباب التوفيق في الحياة أن تكون سنداً حقيقياً لإخوتك، فإنهم بعد الله، حصنك في الدنيا، وذكرى طيبة لك بعد وفاتك.

الفصل الخامس: صلة الأرحام وضوابطها الشرعية

إن صلة الأرحام من أعظم القربات وأجلِّ الطاعات التي حثَّ عليها الإسلام، وجعلها من علامات الإيمان وتمام الدين، فهي رابطة متينة بين المسلم وأهله، بها تتماسك الأسر وتترابط المجتمعات. وقد قرن الله عز وجل صلة الأرحام بعبادته في كتابه الكريم، فقال:

"وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى" [النساء: 36].

وفي الحديث الشريف قال النبي ﷺ:

"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه" [رواه البخاري ومسلم].

وهذا يدل على أن صلة الأرحام ليست أمرًا اختياريًا، بل هي واجب شرعي يثاب عليه المسلم إذا أداه، ويأثم إذا قطعه بغير عذر معتبر.

أولاً: معنى صلة الرحم

صلة الرحم تعني الإحسان إلى الأقارب بكل صور الإحسان الممكنة، من زيارة، وسؤال، ومساعدة، وتهنئة في المناسبات، ومواساة في المصائب، ودعاء لهم في حياتهم وبعد وفاتهم. وهي تشمل الأقارب من جهة الأب أو الأم، سواء كانوا من المحارم أو من غير المحارم، رجالاً أو نساءً، قريبين أو بعيدين في النسب.

وقد قال الإمام النووي رحمه الله:

"صلة الرحم هي الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول، فتارة تكون بالمال، وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة والسلام، وغير ذلك".

ثانيًا: فضل صلة الأرحام

وردت نصوص كثيرة تبين فضل هذه العبادة العظيمة، منها:

زيادة العمر وبسط الرزق: قال النبي ﷺ: "من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه" [رواه البخاري ومسلم].

محبة الله ورضوانه: صلة الأرحام سبب لنيل رحمة الله، قال تعالى: "الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ" [الرعد: 21].

النجاة من القطيعة: القطيعة من كبائر الذنوب التي توجب سخط الله، قال النبي ﷺ:

"لا يدخل الجنة قاطع رحم" [رواه البخاري ومسلم].

ثالثًا: ضوابط صلة الأرحام الشرعية

رغم عِظم هذه العبادة، إلا أن الإسلام وضع لها ضوابط تحفظ للمرأة المسلمة دينها وعفتها، ومن هذه الضوابط:

عدم الخلوة بغير المحارم: إن كانت الرحم من غير المحارم (كأبناء العم والخال)، فإن زيارتهم ومخالطتهم يجب أن تكون في وجود المحارم، مع الالتزام بالحجاب الشرعي.

غض البصر وحفظ اللسان: فلا يجوز التهاون في النظرات أو الكلمات التي قد تثير الفتنة.

البعد عن المنكرات: إن كانت مجالس بعض الأقارب يختلط فيها الرجال بالنساء بلا ضوابط أو تُرتكب فيها المعاصي، وجب على المرأة أن تقلل حضورها أو تختار أسلوب التواصل المناسب الذي لا يعرضها للفتنة.

عدم التهاون في الوقت والواجبات: يجب أن تكون صلة الرحم وسيلة لرضا الله، لا أن تشغل المرأة عن عبادتها أو مسؤولياتها في بيتها.

الاعتدال في العطاء: لا يُطلب من المرأة فوق طاقتها، بل تصل رحمها بما تستطيع من قول أو فعل أو هدية أو رسالة.

رابعًا: وسائل عملية لصلة الأرحام

الزيارة: وهي أعظم صور الصلة، ويمكن أن تكون شهرية أو بحسب القدرة.

الاتصال والسؤال: خصوصًا مع الأقارب البعيدين.

المشاركة في الأفراح والأحزان: حضور المناسبات أو إرسال التهاني والتعازي.

المساعدة المادية: لمن كان محتاجًا، ولو بمبلغ يسير.

الدعاء: وهو من أرقى صور الصلة التي قد يغفل عنها الناس.

خامسًا: التوازن بين الصلة وحفظ الدين

على المرأة المسلمة أن توازن بين برها لأرحامها وبين التزامها بدينها وحفظ نفسها، فصلة الرحم لا تعني مجاراة الأقارب في المعاصي أو السكوت عن المنكر، بل تكون بالمعروف. فإن كان في حضور بعض المجالس مفسدة أكبر، جاز الاكتفاء بوسائل أخرى كالرسائل أو الاتصالات.

بهذا تكون صلة الأرحام عبادة متكاملة تجمع بين رضا الله ورضا الناس، وتبني مجتمعًا متماسكًا على أساس التقوى والمودة.

الباب الرابع: تعامل المرأة مع الزوج

الفصل الأول: مكانة الزوج في الإسلام وحقوقه على زوجته

لقد جاء الإسلام بمنهج متكامل ينظم الحياة الزوجية، وجعل لكل طرف حقوقًا وواجبات تحفظ الكرامة وتضمن السعادة، ومنح الزوج مكانة خاصة باعتباره القائم على الأسرة والمسؤول عن رعايتها، كما قال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: 34]، أي قائمون على شؤونهن، بالنفقة والرعاية والحماية، وهذا لا يعني التسلط أو الاستبداد، وإنما هو قيام بالمسؤولية المقرونة بالرحمة والعدل.

وقد بيّن النبي ﷺ مكانة الزوج فقال: "لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، لعظم حقه عليها" [رواه الترمذي]، وهذا الحديث لا يدل على إباحة السجود لغير الله، بل على بيان عظم حق الزوج ومقامه. فالزوج هو السند الذي تعتمد عليه المرأة في حياتها، وشريكها في بناء البيت، ورفيق دربها في مسيرة العمر.

ومن حقوق الزوج على زوجته ما يلي:

الطاعة في المعروف: فلا يجوز للزوجة أن تعصي زوجها في أمر مشروع، طالما لا يخالف أمر الله ورسوله، كما قال ﷺ: "إذا صلّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصَّنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت" [رواه أحمد].

حفظه في نفسه وماله: وقد أمر الله بذلك في قوله: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: 34]، فتكون المرأة أمينة على نفسها، تحفظ عفتها وكرامة بيتها، وتصون مال زوجها فلا تبدده.

حسن التبعل: أي حسن التعامل معه بالكلمة الطيبة والوجه البشوش، فقد كان النبي ﷺ يقول: "ألا أخبركم بنسائكم في الجنة؟ الودود الولود العؤود على زوجها، التي إذا آذت أو أُوذيت جاءت حتى تأخذ بيد زوجها ثم تقول: والله لا أذوق غمضًا حتى ترضى" [رواه النسائي].

شكر المعروف وعدم جحود النعمة: فقد حذّر النبي ﷺ النساء من جحود إحسان الأزواج، فقال: "أُريت النار فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن. قيل: أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير ويكفرن الإحسان" [رواه البخاري].

تقدير جهده وتعبه: فالزوج يكدح ليلاً ونهاراً لتوفير حياة كريمة لأسرته، ومن الوفاء أن تشعر الزوجة بقيمة ما يقدمه وتشكره عليه، ولو بكلمة طيبة أو دعاء صادق.

إن معرفة الزوجة لمكانة زوجها وحقوقه ليست أمراً شكليًا، بل هي أساس لحياة زوجية مستقرة، فالمرأة الحكيمة تدرك أن طاعتها لزوجها في المعروف وحفظها لبيتها يزيد من حبه ووده، وأن تقديرها له يحفظ الأسرة من التصدع، ويجعل البيت واحة للسكينة والمودة، كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: 21].

فالمرأة الصالحة ترى في زوجها نعمة تستحق الشكر، وتحرص على أن تكون له معينًا على طاعة الله، لا مصدر عناء، فبذلك يكتمل المعنى السامي للحياة الزوجية التي يريدها الإسلام.

الفصل الثاني: المعاشرة بالمعروف وفن الحفاظ على المودة والرحمة

إنَّ العلاقة الزوجية في الإسلام ليست مجرد عقد يربط بين رجل وامرأة، بل هي ميثاق غليظ، وصفه الله تعالى في كتابه الكريم بقوله: ﴿وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: 21].

هذا الميثاق يقوم على أسس الرحمة، والمودة، والإحسان، والاحترام المتبادل، وقد جعل الله تعالى لكل من الزوجين حقوقًا وواجبات، وأمر كلا الطرفين أن يعاشر الآخر بالمعروف. قال الله عز وجل:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: 19].

أولاً: معنى المعاشرة بالمعروف

المعاشرة بالمعروف تعني أن يعيش الزوجان معًا في إطار من الاحترام، والمودة، وحفظ الحقوق، وأن يُحسن كل منهما صحبة الآخر، ويغفر زلاته، ويصبر على عيوبه. فالمعروف يشمل الكلمة الطيبة، والابتسامة الصادقة، والمعاملة الرحيمة، وحسن الخلق في الخلاف قبل الوفاق.

وقد ضرب النبي ﷺ أروع الأمثلة في ذلك، فقد كان ألين الناس مع نسائه، وأحسنهم خلقًا، وكان يقول:

"خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي" [رواه الترمذي].

ثانياً: المودة والرحمة أساس الحياة الزوجية

قال الله تعالى:﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾

[الروم: 21].

المودة هي الحب والميل القلبي، والرحمة هي العطف والشفقة والرعاية في وقت الحاجة. قد تغيب المودة أحيانًا في لحظات الخلاف، لكن الرحمة تبقى فتمنع الظلم، وتدعو إلى الإحسان.

ثالثاً: فن الحفاظ على المودة والرحمة

الحياة الزوجية تمر بمراحل مختلفة، قد تتخللها الخلافات والابتلاءات، ولذا يجب على المرأة المسلمة أن تحرص على الحفاظ على جذوة المودة والرحمة من خلال عدة أمور:

الكلمة الطيبة: فهي مفتاح القلوب، قال النبي ﷺ:

"الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ" [رواه البخاري ومسلم].

لا تحتقر المرأة كلمة شكر أو دعاء بالخير لزوجها، فهي تقوي المودة وتُذهب الغضب.

الاحترام والتقدير: إظهار الاحترام لزوجها أمام الناس وخلف الأبواب المغلقة يعزز مكانته ويجعله يبادلها التقدير.

رابعا: على العيوب: قال النبي ﷺ

"لا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إن كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها آخَرَ" [رواه مسلم].

فلا يوجد زوج بلا عيوب، والصبر عليها من شيم الزوجة العاقلة.

المشاركة الوجدانية: مشاركته في أحزانه وأفراحه، والوقوف بجانبه في الأزمات، فإن الشدائد تظهر معدن الوفاء.

التجديد في الحياة الزوجية: الاهتمام بالمظهر، وتجديد أسلوب الكلام، وكسر الروتين، كل ذلك يعيد الدفء للعلاقة.

خامسا: التعامل مع الخلافات

الخلاف أمر طبيعي، لكن الإسلام وضع ضوابط لتجاوزه، أهمها:

ضبط اللسان عن الكلمات الجارحة.

عدم إفشاء أسرار البيت.

اختيار الوقت المناسب للنقاش.

تقديم التنازل أحيانًا من أجل بقاء المودة.

سادسا: أثر المعاشرة بالمعروف على الأسرة

حين تحرص المرأة على المعاشرة بالمعروف، فإنها تصنع بيئة أسرية مستقرة، يسودها الأمن النفسي، وينشأ الأبناء على الحب والاحترام، وتصبح الأسرة نموذجًا في المجتمع.

الفصل الثالث: طاعة الزوج في المعروف وحدودها الشرعية

إنَّ الطاعة في الإسلام ليست خضوعاً أعمى ولا إذلالًا للمرأة، بل هي نظام إلهي قائم على الحكمة، يُنظِّم الحياة الزوجية ويجعلها تسير في انسجام وتفاهم. فقد جعل الله عز وجل القِوامة للرجل على زوجته، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: 34]، وهذه القوامة تكليف ومسؤولية، وليست تسلطًا أو استبداداً.

أولًا: معنى طاعة الزوج في المعروف

طاعة الزوج في المعروف تعني استجابة المرأة لطلبات زوجها في حدود ما أحلَّه الله تعالى، وما لا يُخالف أوامر الشرع، سواء في أمور البيت أو الحياة الزوجية أو القرارات التي تتعلق بالأسرة. فالطاعة هنا ليست في المعصية، إذ قال النبي ﷺ: «إنما الطاعة في المعروف» [رواه البخاري ومسلم].

فالزوجة المطيعة في المعروف تعين زوجها على الخير، وتكون سنداً له في الحياة، كما أنها بطاعتها تُرضي ربها، فقد قال النبي ﷺ: «إذا صلَّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصَّنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي من أي أبواب الجنة شئتِ» [رواه أحمد].

ثانيًا: حدود الطاعة الشرعية

هناك ضوابط للطاعة في الإسلام، حتى لا تتحول إلى ظلم أو إساءة:

لا طاعة في معصية الله

إذا أمر الزوج زوجته بأمر يُخالف شرع الله، كترك الصلاة، أو التبرج، أو قطع الرحم، أو أي معصية، فلا يجوز لها الطاعة، لقوله ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» [رواه أحمد].

عدم التعدي على حقوقها المشروعة

للمرأة حقوق شرعية لا يجوز للزوج أن يسلبها، مثل حقها في النفقة، وحقها في المهر، وحقها في زيارة والديها، وحقها في التعليم الشرعي النافع، ولا يجوز له أن يمنعها من هذه الحقوق إلا إذا كان في الأمر ضرر بيّن.

الموازنة بين الطاعة وكرامة المرأة

الإسلام لم يأمر المرأة بأن تُهين نفسها أو تُذلّ كرامتها، بل أمرها بحفظ نفسها وصيانة مكانتها، وجعل الطاعة في المعروف تعبيراً عن الاحترام المتبادل وليس القهر.

ثالثًا: أثر الطاعة على الحياة الزوجية

حين تلتزم المرأة بطاعة زوجها في المعروف، يثمر ذلك:

استقرار البيت: فالانسجام بين الزوجين يمنع الخلافات ويزيد من المودة.

المودة والرحمة: الطاعة تولّد المحبة في قلب الزوج، فيقابلها بحسن المعاملة.

البركة في الحياة: لأن طاعة الزوج في المعروف عبادة يتقرب بها الإنسان إلى الله، فيبارك الله في الرزق والأبناء.

رابعًا: الطاعة المتبادلة في إطار التشاور

مع أن النصوص الشرعية تركز على طاعة المرأة لزوجها، إلا أن الحياة الزوجية في الإسلام قائمة على التشاور، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: 38]. فالزوج الحكيم لا يتخذ قراراته منفرداً، بل يُشاور زوجته ويأخذ برأيها فيما يخص شؤون البيت والأولاد.

خامسًا: الموازنة بين حق الزوج وحقوق الآخرين

على الزوجة أن توازن بين طاعة زوجها وبين برّ والديها وصلة أرحامها، فلا تنقطع عن أهلها بسبب طلب غير مبرر من الزوج، وفي الوقت نفسه لا تُهمل بيتها بسبب انشغالها خارج المنزل.

خاتمة الفصل

طاعة الزوج في المعروف ليست مجرد واجب شرعي، بل هي فنّ من فنون إدارة الحياة الزوجية، ووسيلة لتحقيق السعادة بين الزوجين. فإذا كانت الطاعة مقرونة بالحب، ومبنية على الاحترام المتبادل، فإن البيت سيصبح جنة صغيرة في الدنيا، ونواة لأسرة صالحة تُرضي الله عز وجل.

الفصل الرابع: إدارة الخلافات الزوجية بالحكمة والصبر

الخلافات الزوجية سنة من سنن الحياة، وهي أمر لا يخلو منه أي بيت، مهما بلغ الحب بين الزوجين، فالتباين في الطباع، واختلاف وجهات النظر، وتغير الظروف، كل ذلك قد يولّد مواقف تحتاج إلى إدارة رشيدة حتى لا تتحول إلى نزاعات تهدم المودة والرحمة التي أمر الله بها. وقد جعل الإسلام من "الحكمة" و"الصبر" جناحين يحلّق بهما الزوجان فوق عواصف الخلاف، ليعود الصفاء والهدوء إلى البيت.

أولًا: الاعتراف بأن الخلاف أمر طبيعي

إن أول خطوة لحسن إدارة الخلافات هي إدراك أن الاختلاف لا يعني فشل الحياة الزوجية أو انعدام الحب، بل هو نتيجة طبيعية لاختلاف العقول والخبرات والتجارب. وقد كان رسول الله ﷺ يعيش حياة زوجية طبيعية، يقع فيها الخلاف أحيانًا، ولكنه كان يعالجه برفق ولين. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

"كان رسول الله ﷺ إذا غضب أحد أزواجه وضع يده على كتفها وقال: «اللهم اغفر لها»" (رواه النسائي).

فالنبي ﷺ لم يجعل الخلاف سببًا للهجر أو القطيعة، بل مناسبة للدعاء والصلاح.

ثانيًا: التزام الهدوء وضبط النفس

من أهم أسباب فشل الحوار بين الزوجين هو الغضب، وقد أوصى النبي ﷺ بالتحكم فيه، فقال لرجل جاء يطلب الوصية: «لا تغضب» فرددها مرارًا (رواه البخاري).

فعلى المرأة المسلمة أن تتذكر أن لحظة غضب قد تهدم ما بُني في سنوات، وأن الصمت أحيانًا يكون أبلغ من الكلمات، خصوصًا إن شعرت أن النقاش يتصاعد إلى انفعال.

ثالثًا: حسن الاستماع وفهم وجهة النظر

من الأخطاء الشائعة في الخلافات أن كل طرف ينشغل بإعداد الرد قبل أن يفهم كلام الآخر، فيضيع المعنى وتزداد المشكلة. والإسلام حث على حسن الاستماع، فقد قال ﷺ:

«المؤمن ليس بالطعّان ولا اللعّان ولا الفاحش ولا البذيء» (رواه الترمذي).

فالإنصات باحترام هو جزء من حسن الخلق الذي يجب أن يزين العلاقة بين الزوجين.

رابعًا: الفصل بين المشكلة والمشاعر

من الحكمة أن تفرّق المرأة بين مشاعرها تجاه زوجها كإنسان تحبه وتحترمه، وبين الموقف محل الخلاف. فالحب يبقى، والمشكلة تُحل، ولا يجوز الخلط بينهما حتى لا تتحول المسألة إلى تراكمات من العتاب.

خامسًا: استحضار المودة والرحمة في النقاش

القرآن الكريم جعل المودة والرحمة أساس العلاقة الزوجية، فقال تعالى:

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: 21]

وعليه، فالمرأة عند إدارة الخلاف تتذكر أن زوجها هو شريك العمر وأبو أولادها، وأن الهدف هو الإصلاح لا الانتصار في النقاش.

سادسًا: اللجوء إلى الحلول الشرعية

عند تعقد الخلافات أو استمرارها، شرع الإسلام خطوات للإصلاح: تبدأ بالنصح المباشر، ثم الصبر، ثم الاستعانة بأهل الخير من الأقارب أو العلماء، كما قال تعالى:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء: 35]

وهذا يضمن أن تُحل المشاكل بطريقة عادلة تحفظ الحقوق.

سابعًا: الدعاء والاستعانة بالله

لا ينسى الزوجان أن قلوبهما بيد الله، وأن الإصلاح منه وحده، فيكثران من الدعاء بأن يؤلف الله بينهما، وأن يصرف عنهما الشيطان الذي يفرح بالفرقة. قال ﷺ:

«إن إبليس يضع عرشه على الماء... فيجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرّقت بينه وبين امرأته، فيدنيه ويقول: نعم أنت» (رواه مسلم).

خاتمة

إدارة الخلافات الزوجية بالحكمة والصبر ليست ضعفًا، بل هي قوة تحافظ على البيت من الانهيار. والمرأة المسلمة العاقلة تدرك أن كل خلاف يمكن أن يكون فرصة لفهم أعمق، وتقدير أكبر، إذا أحسن التعامل معه بروح الودّ والرفق، كما علّمنا الإسلام.

الفصل الخامس: دور المرأة في بناء أسرة صالحة مع زوجها

إن بناء أسرة صالحة هو من أعظم المهام التي أوكلها الله تعالى للزوجين معًا، وهو رسالة ممتدة عبر الأجيال، ومسؤولية مشتركة تتطلب تعاونًا، وحبًا، وصبرًا، وحسن تدبير. وإذا كان الرجل قائد السفينة، فإن المرأة هي روحها ونبضها، فهي التي تزرع الحب، وتغرس القيم، وتشيع الطمأنينة، وتدير تفاصيل الحياة اليومية بروح الحكمة والرعاية.

فالمرأة المسلمة التي تتبنى المنهج الوسطي في دينها، تدرك أن الأسرة ليست مجرد بيت يجمع أشخاصًا، بل هي كيان روحي وأخلاقي، تُبنى على تقوى الله أولًا، ثم على المودة والرحمة كما قال تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: 21].

غرس الإيمان في قلب الأسرة

أول أدوار المرأة في بناء أسرة صالحة هو الحرص على أن يكون الإيمان بالله هو المحور الذي تدور حوله حياة البيت. فهي تحرص على إقامة الصلاة جماعة مع الزوج والأبناء، وتشجع على قراءة القرآن، وتغرس في نفوس الأبناء حب الله ورسوله ﷺ منذ نعومة أظفارهم. فهي بذلك تحقق قول النبي ﷺ:

"كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها" (رواه البخاري ومسلم).

القدوة الحسنة في الأخلاق

إن أبناء الأسرة يتعلمون من سلوك الأم أكثر مما يتعلمون من كلماتها، فإذا كانت صبورة، حليمة، كريمة، ملتزمة بالصدق، فإن هذه الصفات تنتقل إلى الأبناء بطريقة طبيعية. فالمرأة المسلمة تبتعد عن الغيبة والنميمة، وتحرص على حسن الظن بالناس، وتبث في البيت جوًا من الطهارة الأخلاقية والنقاء القلبي.

التعاون مع الزوج في التربية

لا تترك المرأة عبء التربية للزوج وحده، ولا تُلقيه على المدارس أو المجتمع، بل تشارك بوعي كامل في تربية الأبناء على القيم الإسلامية، مع مراعاة الفروق الفردية بينهم، والتوجيه المستمر بالموعظة الحسنة، والحزم إذا تطلب الأمر. وهي تدرك أن التربية ليست أوامر ونواهي فقط، بل حوار، وفهم، وتشجيع، وحب.

إدارة شؤون البيت بحكمة

من مقومات الأسرة الصالحة أن يكون البيت منظماً، مليئًا بالسكينة، وأن تُدار أموره بحكمة وتخطيط. فالمرأة العاقلة تُحسن ترتيب الأولويات، وتوازن بين احتياجات الزوج والأبناء، وتُدير الميزانية بروية حتى لا تقع الأسرة في ضيق أو إسراف. وهي تحرص على أن يكون بيتها مكانًا نظيفًا، مرتبًا، رحبًا، يشعر فيه الجميع بالراحة والانتماء.

حل الخلافات بهدوء

لا تخلو الحياة من مشكلات، لكن المرأة الحكيمة تدرك أن الكلمة الطيبة والهدوء في الحوار، وإعطاء الزوج الاحترام الذي يستحقه، هي مفاتيح لحل أي خلاف. وهي لا تسمح للمشكلات أن تتفاقم أو تتسرب إلى نفوس الأبناء، بل تحرص على بقاء البيت في دائرة الأمن العاطفي.

نشر الحب والمودة بين أفراد الأسرة

الحب ليس رفاهية في الحياة الزوجية، بل هو أساس متين لاستمرار الأسرة. والمرأة هي أكثر من يستطيع زرع هذا الحب بلمساتها الحانية، وكلماتها الطيبة، واهتمامها بتفاصيل حياة زوجها وأبنائها، وإشاعة الدفء العاطفي بينهم.

الدعاء للأسرة

ومن أجمل ما تقوم به المرأة الصالحة أن ترفع يديها إلى السماء كل ليلة، تدعو لزوجها وأبنائها بالصلاح والهداية، مستحضرة قول الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 74].

بهذا، تكون المرأة المسلمة قد أدت دورها العظيم في بناء أسرة صالحة متماسكة، تسير على هدي القرآن والسنة، وتقدم للأمة أجيالًا قوية في إيمانها، سامية في أخلاقها، نافعة في مجتمعها.

الباب الخامس : دور المرأة في تربية الأولاد

الفصل الأول: مكانة الأم في الإسلام ومسؤوليتها في التربية

تُعدُ الأم في الإسلام أعظم مدرسة، وأشرف رسالة، وأعظم تأثير في تشكيل شخصية الجيل القادم. فقد رفع الإسلام من قدرها حتى جعل برّها وطاعتها مقرونًا بعبادة الله عز وجل، وجعل حقها أعظم من حق الأب في البرّ، لما تتحمله من مشقة الحمل والولادة والرضاعة والتربية. قال الله تعالى:

{وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا} [الأحقاف: 15].

وجاء رجل إلى النبي ﷺ يسأله: "من أحق الناس بحسن صحابتي؟" قال: "أمك"، قال: ثم من؟ قال: "أمك"، قال: ثم من؟ قال: "أمك"، قال: ثم من؟ قال: "أبوك" [رواه البخاري ومسلم]. وهذه الرواية العظيمة تعكس مكانة الأم وفضلها الذي لا يوازيه أحد.

الأم مربّية قبل أن تكون معلمة

التربية ليست مجرد تلقين أو تعليم، بل هي غرس القيم والمبادئ والأخلاق في نفوس الأبناء منذ نعومة أظفارهم. الأم بحنانها وصبرها تُشكّل الضمير، وتبني الوعي، وتؤسس حب الخير والخوف من الله في قلوب أولادها. فالأم لا تُعلّم فقط بالكلمات، بل بسلوكها وأفعالها اليومية؛ فهي القدوة التي يراقبها الأبناء ويتأثرون بها.

الأم والمسؤولية الشرعية في تربية الأولاد

الأبناء أمانة في عنق الأم، وستُسأل عنهم يوم القيامة، كما قال النبي ﷺ: "كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها" [رواه البخاري ومسلم]. وهذه المسؤولية تشمل حسن التربية الدينية، والتعليم، والرعاية الصحية والنفسية، والمتابعة السلوكية.

التربية بالحب والانضباط

الإسلام دين الوسطية، فلا يُقبل أن تكون التربية قاسية جافة، ولا متساهلة لدرجة الإهمال، بل تقوم على الحب الممزوج بالحزم. الحب يغرس الثقة ويجعل الطفل ينجذب إلى أمه ويستجيب لتوجيهاتها، والحزم يمنع الانحراف ويضع حدوداً واضحة للسلوك.

أثر الأم على مستقبل المجتمع

إذا صلحت الأم صلح الجيل، وإذا فسدت فسدت الأجيال من بعدها. فهي المدرسة الأولى التي يتخرج منها قادة وعلماء ودعاة، أو على النقيض قد يتخرج منها جيل ضائع إذا أهملت رسالتها. ولهذا قال الشاعر:

الأمُ مدرسةٌ إذا أعددتَها
أعددتَ شعبًا طيبَ الأعراقِ

الجمع بين التربية والعبادة

الأم المسلمة الحقيقية تربي أولادها وهي تستحضر نية العبادة؛ فتربية الأبناء في الإسلام ليست عملاً دنيويًا فقط، بل هي قربة وطاعة، لأن الأم إنما تُنشئ عبيداً للّه. وإذا أحسنت النية في تربية أولادها كانت مأجورة على كل جهد وسهر وتعب.

الفصل الثاني: غرس القيم الإسلامية في نفوس الأبناء

إن غرس القيم الإسلامية في نفوس الأبناء هو أعظم مسؤولية تحملها المرأة المسلمة، فهو الاستثمار الحقيقي الذي يمتد أثره بعد وفاتها، ويكون سببًا في صلاح المجتمع واستقامة الأجيال. القيم التي نتحدث عنها ليست مجرد معلومات دينية يحفظها الطفل، وإنما هي مبادئ يعيش بها ويعمل بها، فتكون جزءاً من شخصيته وهويته، وأساس سلوكه وتعامله مع اللّه والناس.

أولًا: القيم الإسلامية... ماذا نعني بها؟

القيم الإسلامية هي تلك المبادئ التي جاء بها القرآن الكريم وعلّمها النبي ﷺ للأمة، وتشمل العقائد الصحيحة، والعبادات، والأخلاق الفاضلة، والمعاملات الحسنة. وهي ليست أمورًا اختيارية، بل هي أوامر شرعية واجبة أو مستحبة، تمثل طريق النجاة في الدنيا والآخرة.

ومن أبرز هذه القيم التي ينبغي غرسها منذ الصغر:

التوحيد وإخلاص العبادة للّه وحده: قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: 36].

بر الوالدين والإحسان إليهما: قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: 23].

الأمانة والصدق: قال ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان» [رواه البخاري ومسلم].

الحياء والعفة: وهي من أعظم ما يزين المسلم، قال ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير» [رواه البخاري ومسلم].

الرحمة وحب الخير للناس: قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» [رواه البخاري ومسلم].

ثانيًا: دور الأم في غرس القيم

الأم هي المدرسة الأولى في حياة الطفل، وأسلوبها في التربية هو العامل الأكبر في تشكيل شخصيته. ونجاحها في غرس القيم يعتمد على أسلوبين رئيسيين:

القدوة الحسنة

الأطفال لا يتعلمون من الكلام بقدر ما يتعلمون من الأفعال. فإذا أرادت الأم أن تربي أبناءها على الصدق، فلا بد أن تكون صادقة في كلامها ووعودها معهم ومع الآخرين. وإذا أرادت أن تغرس قيمة الصلاة، فلا بد أن يروا حرصها عليها في وقتها، وخشوعها فيها.

التربية بالموقف والحوار

ينبغي على الأم أن تستغل المواقف اليومية لتعليم القيم، فمثلًا إذا رأى الطفل موقف ظلم، تعلّمه الأم أن الإسلام يأمر بالعدل وينهى عن الظلم، وتذكر له آية أو حديثًا يؤكد المعنى. وكذلك يجب أن تفتح مجال الحوار مع أبنائها لتوضيح المفاهيم وتصحيح الأخطاء.

ثالثًا: أساليب عملية لغرس القيم

القصص القرآني والنبوي: للأطفال حب فطري للقصص، وهي وسيلة مؤثرة لغرس المعاني، مثل قصة يوسف عليه السلام في العفة والصبر، أو قصة موسى عليه السلام في الثبات على الحق.

المكافأة على السلوك الحسن: تعزيز القيم بالمكافأة يشعر الطفل بأهمية ما قام به، كتشجيعه عندما يحفظ آية أو يساعد أحدًا.

البيئة الصالحة: الحرص على أن تكون بيئة الأبناء مليئة بأصدقاء صالحين ومؤسسات تعليمية محافظة على القيم.

التكرار والمتابعة: القيم تحتاج إلى متابعة دائمة، حتى تترسخ وتصبح جزءًا من شخصية الطفل.

رابعًا: التحديات المعاصرة

لا يخفى أن الأم المسلمة تواجه تحديات كبيرة في هذا العصر، من وسائل الإعلام المفتوحة، وشبكات التواصل الاجتماعي، والمؤثرات الثقافية التي قد تتعارض مع القيم الإسلامية. وهذا يستدعي من الأم أن تكون واعية، تراقب المحتوى الذي يتعرض له أبناؤها، وتناقشهم في كل ما يرونه ويسمعونه، وتبيّن لهم الصواب والخطأ وفق ضوابط الشرع.

خامسًا: الأثر المبارك لغرس القيم

إذا نجحت الأم في غرس القيم الإسلامية، فإن أبناءها سيكونون بإذن اللّه حصنًا للمجتمع، يسيرون على نهج القرآن والسنة، ويدعون إلى الخير، ويبتعدون عن الشر. وسيكون ذلك صدقة جارية لها بعد موتها، كما قال ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» [رواه مسلم].

الفصل الثالث: تعليم الأبناء العبادات وربطهم بالمساجد

إنَّ من أعظم ما تقوم به المرأة المسلمة في رسالتها تجاه أبنائها أن تغرس فيهم حبَّ العبادات منذ نعومة أظفارهم، وأن تُنشئهم على صلة وثيقة بالله تعالى، ليشبّوا وهم يحملون في قلوبهم خشية الخالق ومحبته، ويجدون في عبادته لذّةً وسكينة. فالعبادات في الإسلام ليست مجرد طقوس تؤدّى، وإنما هي مدرسة تربوية تُهذِّب النفس، وتُقوِّم السلوك، وتربط العبد بربه في كل أحواله.

أولًا: تعليم الصلاة في الصغر

الصلاة عمود الدين، وهي أول ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة، وقد أمر النبي ﷺ الوالدين أن يعلّموا أبناءهم الصلاة في سنّ السابعة، فقال:

"مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرّقوا بينهم في المضاجع" (رواه أبو داود).

وعلى المرأة أن تبدأ بتعويد أبنائها على الصلاة بأسلوبٍ تربويٍّ رحيم، فتشجّعهم بالكلمة الطيبة، وتقترن الأمر بالصلاة بالقدوة العملية، فتراهم وهي تُبادر إلى الصلاة في وقتها، وتهيّئ لهم جوًّا من الطمأنينة لأدائها، وتثني عليهم إذا أدوها.

ثانيًا: غرس حبّ القرآن في قلوبهم

القرآن الكريم هو النور الذي يُضيء القلب، والهدى الذي يحفظ الأبناء من الانحراف، وعلى الأم أن تبدأ معهم من الصغر بحفظ قصار السور، وتعليمهم معانيها بأسلوب مبسط، وربطهم بالاستماع لتلاوة القرآن من القراء المتقنين، وتشجيعهم على القراءة بأنفسهم مع مراعاة قدراتهم.

ثالثًا: تعويدهم على الصيام

الصيام عبادة تُعلِّم الصبر، وتُنمّي التقوى في القلب، ويمكن للأم أن تدرب أبناءها على الصيام تدريجيًا قبل بلوغهم، فتصوم معهم بعض الساعات ثم تزيد الوقت شيئًا فشيئًا، مع توضيح فضائل الصيام وما فيه من أجر عظيم.

رابعًا: تعليم الأذكار والرقية الشرعية

الأذكار اليومية حصن للمسلم من الشرور، وعلى الأم أن تُعلِّم أبناءها أذكار الصباح والمساء، وأذكار النوم والطعام والدخول والخروج، وتُشجّعهم على ترديدها باستمرار، مع بيان معانيها حتى لا تكون مجرد كلمات محفوظة بلا فهم.

خامسًا: ربط الأبناء بالمساجد

المسجد هو بيت الله ومصدر التربية الإيمانية، وقد كان النبي ﷺ يربط الصغار بالمسجد، حتى كان الحسن والحسين يلعبان في ساحته. وعلى الأم أن تشجع أبناءها —خصوصًا الذكور— على حضور صلاة الجماعة، وحلقات تحفيظ القرآن، والمشاركة في أنشطة المسجد، حتى يشعروا أن المسجد بيتهم الثاني.

سادسًا: القدوة العملية

الطفل يتأثر بما يراه أكثر مما يسمعه، فإذا رآكِ محافظة على الصلاة، حريصة على قراءة القرآن، مداومة على الأذكار، سيسير على خطاكِ بلا تكلف، فالأم هي المعلّم الأول، وصورة التدين التي ستنعكس في شخصية أبنائها.

إنَّ تعليم الأبناء العبادات وربطهم بالمساجد ليس مهمة مؤقتة، بل هو مشروع حياة، تُبنى به أجيال مؤمنة، وتُصان به الأمة من الضياع. وإن المرأة المسلمة حين تقوم بهذا الدور، فإنها تكتب اسمها في سجل المصلحين الذين حملوا أمانة تربية الجيل، وجعلوا همّهم أن يخرج من بيوتهم شباب وفتيات قلوبهم معلقة بالله، وأقدامهم ثابتة على صراطه المستقيم.

الفصل الرابع: تربية الأبناء على الأخلاق الفاضلة وحماية الفكر والسلوك

إنَّ تربية الأبناء على الأخلاق الفاضلة وحماية فكرهم وسلوكهم ليست مجرد مهمة تربوية عابرة، بل هي رسالة عظمى وأمانة شرعية حمَّلها الله للوالدين، خاصة الأم التي تكون أقرب قلبًا وروحًا لأبنائها، وأشد تأثيرًا عليهم في سنواتهم الأولى.

وقد جاء الإسلام بمنهج متكامل لبناء شخصية المسلم منذ نعومة أظفاره، حيث قال ﷺ:

«ما نحل والدٌ ولدَه من نِحلٍ أفضل من أدب حسن» (رواه الترمذي).

فأعظم هدية تقدمينها لولدك ليست مالًا ولا لباسًا، بل قلب نقي وعقل راشد وأخلاق عالية.

القدوة الحسنة أساس التربية الأخلاقية

الأبناء يتعلمون من أفعال والديهم أكثر مما يتعلمون من أقوالهم؛ فالأم التي تتحلى بالصبر، والصدق، والحياء، والرحمة، تغرس هذه الصفات في نفوس أبنائها من غير أن تنطق بكلمة.

وقد كان السلف يقولون: صلاح الأبناء من صلاح الأمهات. فاحرصي على أن تكوني المثال الحي لما تريدين أن تريه في ولدك.

تعليم الأخلاق من خلال المواقف اليومية

الأخلاق ليست دروسًا نظرية تُلقى، بل مواقف تُعاش. عندما يُخطئ الابن في التعامل مع صديقه، أو يقصر في حق معلم، أو يتحدث بفظاظة، فهذه فرصة ذهبية لتوضيح معنى الاحترام والرفق وحسن المعاملة.

واجعلي الحوار هادئًا بعيدًا عن الغضب، مع ضرب الأمثلة من حياة النبي ﷺ وصحابته، مثل رحمته بالأطفال وحلمه على الجاهلين.

حماية الفكر من الانحراف

في زمن الانفتاح الإعلامي ووسائل التواصل، صار الفكر ميدانًا تتصارع فيه القيم الصحيحة مع الأفكار الدخيلة. وهنا يأتي دور الأم الواعية في أن تكون قريبة من عقل ولدها، تحاوره وتستمع إليه، وتفتح له أبواب المعرفة الصحيحة المأخوذة من القرآن والسنة.

كما يجب مراقبة ما يتابعه في التلفاز أو الإنترنت، دون قسوة أو تجسس، بل بتربية الثقة بينك وبينه حتى يلجأ إليك طواعية إذا حارت به الأفكار.

تصحيح السلوك بالرفق والحزم

حين يظهر انحراف سلوكي كالكذب أو التهاون في الصلاة أو استخدام ألفاظ بذيئة، لا بد من معالجته فوراً بأسلوب يجمع بين الرحمة والحزم.

فاللين وحده قد يُفسد، والقسوة وحدها قد تنفّر، أما المزج بين النصح اللطيف والعقوبة التربوية المنضبطة فهو الطريق الأقوم.

الدعاء سلاح المربين

لا تغفلي عن الدعاء لأبنائك بالهداية والصلاح، فقلوبهم بين إصبعين من أصابع الرحمن، وهو سبحانه القائل: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 74].

إنَّ الأم التي تزرع الأخلاق الفاضلة في قلب ولدها، وتحصّن فكره، وتقوم سلوكه منذ الصغر، إنما تصنع رجلًا أو امرأةً سيكونان لبنة صالحة في بناء الأمة، وجسراً إلى مستقبل مشرق للإسلام والمسلمين.

الفصل الخامس: حماية الأبناء من الفتن والشبهات

إن حماية الأبناء من الفتن والشبهات من أعظم الواجبات التي تقع على عاتق الوالدين، وبالأخص الأم، فهي الحصن الأول الذي يلتجئ إليه الأبناء عند اشتداد الفتن، وهي المرشد الأمين الذي يوجههم عند التباس الأمور. ولقد أمرنا اللّه تعالى باتقاء النار لأنفسنا وأهلينا، فقال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: 6]،

وهذا يتضمن الحماية من كل طريق يوصل إلى النار، سواء كان شبهة في الفكر أو شهوة في السلوك.

فهم معنى الفتن والشبهات

الفتن هي كل ما يختبر به الإنسان من أمور الدنيا والدين، وقد تكون في صورة مغريات مادية، أو أفكار منحرفة، أو شبهات دينية تشكك في العقيدة. والشبهات هي ما يختلط فيه الحق بالباطل، فتشتبه الأمور على الأبناء إن لم يكن لديهم العلم الكافي.

الدور العلمي للأم

لا يمكن للأم أن تحمي أبناءها من الشبهات وهي تجهل أصول العقيدة الصحيحة، ولهذا وجب عليها طلب العلم الشرعي بقدر ما تستطيع، حتى تستطيع أن تجيب أبناءها إجابات واثقة، وتوجههم إلى المصادر الموثوقة. قال النبي ﷺ: "طلب العلم فريضة على كل مسلم" [رواه ابن ماجه]،

ويشمل هذا المرأة، فهي شريك في حمل أمانة الدين.

زرع المناعة الفكرية

بدلاً من أن نمنع الأبناء من مواجهة الأفكار، علينا أن نحصن عقولهم بالعلم والحجة، فنغرس فيهم القدرة على التمييز بين الصحيح والفاسد، ونعودهم على السؤال والبحث عن الدليل. فالأبناء الذين تعودوا على تقبل الأمور دون فهم، يسهل أن يقعوا ضحية لأي فكرة مضللة.

الرقابة الحكيمة على وسائل الإعلام

عصرنا مليء بالفتن التي تأتي عبر الشاشات والهواتف، ولهذا لا بد من رقابة حكيمة، لا تكون بالقسوة المفرطة، ولا بالترك المطلق، بل بالمتابعة الهادئة، وتوجيه الأبناء إلى المحتوى النافع، وشرح مخاطر المحتوى السيئ بأسلوب مقنع.

تعويد الأبناء على الصحبة الصالحة

الصحبة الصالحة حصن منيع ضد الانحراف، فقد قال النبي ﷺ:

"المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل" [رواه أبو داود والترمذي]،

فينبغي للأم أن تعرف أصدقاء أبنائها، وتحرص على أن يكونوا من أهل الدين والأخلاق.

الدعاء سلاح الحماية

مع كل الأسباب المادية، يبقى الدعاء هو الحصن الأقوى، فقد كان من دعاء النبي ﷺ:

"اللهم إني أعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن"،

وعلى الأم أن تدعو لأبنائها دائماً بالهداية والثبات، فإن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن.

وبهذا تكون الأم قد جمعت بين التربية العلمية، والتحصين الفكري، والرقابة الواعية، والدعاء الصادق، لتحمي أبناءها من الفتن والشبهات، فتسلم لهم عقيدتهم، ويثبتوا على الحق في زمن تكثر فيه رياح التضليل.

الباب السادس : تعامل المرأة مع المجتمع

الفصل الأول: المشاركة المجتمعية في ضوء الإسلام " ضوابط وأهداف

إن الإسلام دين شامل، لا يحصر دور المرأة داخل جدران بيتها فقط، بل يفتح أمامها أبواب الخير والعمل الصالح في مجالات المجتمع المختلفة، شريطة أن تكون مشاركتها منضبطة بضوابط الشرع الحنيف، ملتزمة بحدود الله، محافظة على دينها وحيائها. فالمرأة المسلمة عضو فاعل في بناء الأمة، وشريكة الرجل في إعمار الأرض ونشر القيم، كما قال الله تعالى:

﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ [التوبة: 71]

وهذه الآية الكريمة تقرر مبدأ المشاركة المجتمعية بين الرجال والنساء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي أرقى صور العمل في خدمة المجتمع.

أهداف المشاركة المجتمعية للمرأة في الإسلام

خدمة الدين ونشر الفضيلة: فالمرأة تستطيع أن تكون داعية إلى الخير بين النساء والفتيات، في المدارس والجامعات، أو عبر المنصات الإعلامية المباحة.

الإسهام في حل مشكلات المجتمع: كالعمل في المجال الصحي، أو التعليم، أو رعاية الأيتام والفقراء، بما يوافق الشريعة.

إبراز القدوة الصالحة: المرأة الملتزمة بخلق الإسلام تمثل نموذجًا مؤثرًا، يزرع القيم في النفوس دون الحاجة إلى كلمات كثيرة.

ضوابط المشاركة المجتمعية

الالتزام بالحجاب الشرعي: لقوله تعالى:

﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ [الأحزاب: 59]

عدم الخلوة أو الاختلاط المحرم: فقد قال النبي ﷺ: "لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم" [رواه البخاري ومسلم].

أن تكون المشاركة في مجال مباح: فلا يجوز العمل أو النشاط في مجالات تخالف الدين أو تنشر الفساد.

استئذان ولي الأمر أو الزوج إذا كانت متزوجة: حفاظًا على استقرار الأسرة وتنظيم المسؤوليات.

أمثلة من السيرة النبوية

لقد شاركت نساء الصحابة رضي الله عنهن في المجتمع في مجالات عدة، مثل نسيبة بنت كعب (أم عمارة) التي شاركت في الجهاد دفاعًا عن رسول الله ﷺ يوم أحد، والشفاء بنت عبد الله التي كانت تُعلّم النساء القراءة والكتابة.

خاتمة

المشاركة المجتمعية للمرأة ليست خروجًا عن وظيفتها الأساسية في بيتها، بل امتداد لها، إذا كانت في طاعة الله. وهي فرصة لتكون المرأة لبنة صالحة في بناء أمة قوية متماسكة، توازن بين العبادة والعمل، وبين البيت والمجتمع.

الفصل الثاني: العمل التطوعي وخدمة المحتاجين " فضله وحدوده

العمل التطوعي في الإسلام ليس مجرد نشاط إنساني، بل هو عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه، إذا قصد بها وجه الله وأخلص النية. وقد حثّ القرآن الكريم والسنة النبوية على الإحسان إلى الآخرين وخدمتهم، وجعل ذلك من أعظم القربات، قال الله تعالى:

﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً﴾ [المزمل: 20]

كما قال النبي ﷺ: "أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس" [رواه الطبراني وصححه الألباني].

فضل العمل التطوعي وخدمة المحتاجين

تحقيق الأخوة الإيمانية: إذ يشعر الغني بالفقير، ويقف القوي مع الضعيف، فتتقوى روابط المجتمع.

مضاعفة الأجر والثواب: فكل عمل صالح في خدمة الناس يُكتب للإنسان في ميزان حسناته، حتى الكلمة الطيبة، كما قال ﷺ: "اتقوا النار ولو بشق تمرة" [متفق عليه].

إحياء سنة التكافل الاجتماعي: التي كانت سمة المجتمع الإسلامي منذ عهد النبي ﷺ.

تطهير القلب من الأنانية: فالانشغال بخدمة الغير يغرس في النفس التواضع والرحمة.

صور العمل التطوعي وخدمة المحتاجين

المساعدة في إطعام الفقراء والمساكين.

المساهمة في حملات الإغاثة عند الكوارث والأزمات.

تعليم الجاهل، ونصح الحائر، وإرشاد الضال.

دعم المبادرات الخيرية التي تهدف لخدمة المجتمع.

حدود العمل التطوعي وضوابطه في الإسلام

الإخلاص لله: فلا يكون الهدف من العمل طلب الشهرة أو المديح.

الالتزام بالوسائل المشروعة: فلا يُستخدم التطوع في أعمال تخالف الشرع أو تضر بالمجتمع.

عدم الإضرار بالواجبات الأساسية: كالأسرة أو الدراسة أو العمل.

حفظ الحقوق والكرامة: عند مساعدة المحتاجين، فينبغي أن تكون المساعدة بطريقة تحفظ ماء وجوههم.

نماذج مضيئة من التاريخ الإسلامي

أسماء بنت أبي بكر كانت تحمل الطعام والزاد للمسلمين في الهجرة رغم المشقة.

خاتمة

العمل التطوعي هو روح الإسلام في التعامل مع الآخرين، وهو ما يجعل المجتمع الإسلامي متماسكًا، يرحم قويه ضعيفه، ويغني غنيه فقيره. فإذا التزمت المرأة المسلمة بضوابط الشرع في هذا العمل، فإنها تسهم في نشر الخير، وتكسب رضا الله، وتترك أثرًا طيبًا في الدنيا والآخرة.

الفصل الثالث: المرأة والعلم والدعوة إلى الله " مسؤولية ورسالة

العلم في الإسلام فريضة على كل مسلم ومسلمة، وهو النور الذي يبدد ظلمات الجهل، ويهدي الإنسان إلى معرفة ربه، ويقوّي إيمانه، ويرشده إلى الطريق المستقيم. وقد رفع الله شأن أهل العلم، فقال تعالى:

﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ [المجادلة: 11]

كما قال النبي ﷺ: "من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهّل الله له به طريقًا إلى الجنة" [رواه مسلم].

مسؤولية المرأة في طلب العلم

معرفة أمور الدين: فطلب العلم الشرعي من قرآن وسنة، ومعرفة الحلال والحرام، فرض عين على كل امرأة مسلمة.

التفقه في شؤون الحياة: فالمرأة تحتاج لمعرفة ما يعينها على إدارة حياتها، وتربية أبنائها، وحسن تعاملها مع الناس.

القدوة الحسنة: فالمرأة المتعلمة تصبح نموذجًا راقيًا في سلوكها وأخلاقها.

المرأة والدعوة إلى الله

الدعوة إلى الله ليست حكرًا على الرجال، بل هي واجب على كل مسلم ومسلمة بحسب القدرة والعلم، كما قال الله تعالى: ﴿ومن أحسن قولًا ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين﴾ [فصلت: 33]

الدعوة بالقدوة: من خلال التزام المرأة بحجابها، وعفتها، وأخلاقها.

الدعوة بالكلمة الطيبة: سواء بالنصح المباشر، أو الكتابة، أو نشر الخير عبر وسائل التواصل.

تعليم النساء والفتيات: وهو مجال بارز للمرأة المسلمة، فقد كانت أمهات المؤمنين معلمات للأمة.

نماذج من تاريخ النساء العالمات والداعيات

عائشة رضي الله عنها: كانت من أفقه نساء المسلمين، وروت آلاف الأحاديث.

أم سلمة رضي الله عنها: كان لها دور بارز في النصح والرأي السديد في المواقف الصعبة.

حفصة بنت سيرين: كانت عالمة بالقرآن والحديث، ينهل منها طلاب العلم.

ضوابط الدعوة للمرأة المسلمة

الإخلاص لله، وعدم طلب الشهرة.

الالتزام بالآداب الشرعية في الكلام والمظهر.

الدعوة بالعلم والبصيرة، لا بالعاطفة فقط، قال تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة﴾

[يوسف: 108].

خاتمة

طلب العلم والدعوة إلى الله مسؤولية ورسالة عظيمة للمرأة المسلمة، بها ترتقي بنفسها، وتنهض بمجتمعها، وتنال الأجر العظيم. وإذا جمعت بين العلم والعمل، والقول والفعل، كانت سبباً في هداية الناس، وبناء أمة واعية قوية.

الفصل الرابع: آداب التواصل مع الرجال الأجانب في المجتمع " حفظًا للدين والعرض

إنَّ الشريعة الإسلامية وضعت منهجًا متكاملًا للتعامل بين الرجال والنساء، يحقق مقاصد الدين في حفظ الأعراض وصيانة القلوب، ويضمن سلامة المجتمع من الفتن والانحرافات. وقد أمر الله تعالى المؤمنات بالحشمة والوقار، وجعل لكل تعامل حدوداً وآداباً تمنع التعدي على الحرمات، فقال سبحانه:

﴿ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾ [الأحزاب: 53]

هذه الآية تبيّن أن الطهارة القلبية لا تتحقق إلا بضبط أسلوب التواصل، وتجنب ما يثير الشهوات أو يفتح أبواب الفتنة.

أولًا: مفهوم الرجل الأجنبي في الشرع

الرجل الأجنبي هو كل من ليس محرمًا للمرأة، سواء من القرابة أو المصاهرة أو الرضاع. وقد بيّن الفقهاء أن المحرم هو من يحرم على المرأة زواجُه منها على التأبيد، أما غيره فيُعد أجنبيًا، ويجب مراعاة الضوابط الشرعية في التعامل معه.

ثانيًا: ضوابط وآداب التواصل

الحشمة في المظهر

التزام الحجاب الشرعي الذي يستر الجسد ويمنع الفتنة.

اجتناب الزينة المبالغ فيها أو الملابس اللافتة للنظر أمام الأجانب.

قول الله تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ [النور: 31].

الجدية في الكلام

تجنب الخضوع بالقول أو إطالة الحديث بغير حاجة، لقوله تعالى: ﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولًا معروفًا﴾ [الأحزاب: 32].

جعل الكلام في حدود الحاجة وبألفاظ واضحة محترمة.

البعد عن الخلوة

النهي عن الخلوة برجل أجنبي، لقول النبي ﷺ: "لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم" [متفق عليه].

في حال الحاجة للقاء عمل أو غيره، يكون في مكان عام أو بوجود طرف ثالث.

تجنب المزاح والمبالغة في الود

المزاح مع الأجانب قد يفتح أبواب الفتنة، ويضعف الحاجز النفسي بين الطرفين.

الاكتفاء بالمعاملة الرسمية والود المعتدل الذي يليق بالمسلم والمسلمة.

الالتزام بالآداب الإلكترونية

الحذر في التواصل عبر وسائل التواصل الاجتماعي، والاقتصار على ما تقتضيه المصلحة.

تجنب إرسال صور أو مقاطع شخصية، أو الدخول في أحاديث خاصة.

ثالثًا: مقاصد هذه الضوابط

حفظ الدين: فالمرأة التي تصون تواصلها مع الأجانب تحمي قلبها من التعلق المحرم.

حماية العرض: الالتزام بالحدود يقطع الطريق أمام الشبهات وسوء الظن.

سلامة المجتمع: انتشار الحشمة والالتزام يقلل من الفتن الأخلاقية.

رابعًا: نماذج من التزام الصحابيات

أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: كانت تبيع بعض السلع في السوق، ومع ذلك لم يُعرف عنها خضوع بالقول أو تبرج، بل كانت تعامل الرجال بوقار واحتشام.

أم سلمة رضي الله عنها: لما كانت تحدث الرجال في مسائل الدين، كانت تفعل ذلك من وراء حجاب.

خاتمة

التواصل مع الرجال الأجانب في الإسلام له ضوابط واضحة تحفظ للمرأة كرامتها، وللمجتمع طهارته. والمرأة التي تلتزم بهذه الآداب تكون قد سارت على نهج أمهات المؤمنين، وجعلت تعاملها خالصاً لله، بعيداً عن الشبهات ومواطن الفتنة.

إن الأمة المسلمة لا تنهض إلا بسواعد أبنائها وبناتها معًا، فالمرأة شريكة الرجل في حمل الرسالة، وأحد أعمدة البناء الحضاري. غير أن هذا الإسهام لا يكون على حساب الدين ولا على حساب المبادئ والقيم التي جاءت بها الشريعة الإسلامية. فالمرأة المؤمنة تدرك أن نجاحها الحقيقي إنما يكون حينما تجمع بين أداء رسالتها في عمارة الدنيا وبين حفظ دينها وعرضها، فلا تفرط في حدود الله ولا تتجاوزها.

لقد كان للمرأة المسلمة عبر التاريخ بصمات واضحة في نهضة الأمة؛ فخديجة بنت خويلد رضي الله عنها كانت سندًا للنبي ﷺ في دعوته، تدعمه بالمال والمشورة والرأي. وأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها كانت رمزًا للتضحية والإقدام، تشارك في خدمة الدعوة رغم المخاطر. وأم عمارة نسيبة بنت كعب كانت في ميدان الجهاد تُدافع عن رسول الله ﷺ يوم أحد. هذه النماذج تعكس بوضوح أن المشاركة في النهضة لا تتعارض مع التمسك بالدين، بل تكون منطلقة منه.

إن توازن المرأة بين الدين والدنيا يعني أن تجعل الدين هو الموجِّه لكل خطوة، فتختار العمل أو النشاط الذي يوافق الشريعة، وتلتزم بالحجاب الشرعي، وتتجنب الاختلاط المحرم والخلوة، وتُقدِّم واجباتها الأسرية على أي مسؤوليات خارجية إذا تعارض الأمران، لأن الأسرة هي اللبنة الأولى لنهضة المجتمع.

كما أن المرأة في إسهامها الحضاري يمكن أن تكون معلمة تربي الأجيال على العلم والخلق، أو طبيبة تخفف آلام الناس، أو باحثة تقدِّم حلولًا لمشكلات الأمة، أو متطوعة في خدمة المحتاجين، وكل ذلك وفق الضوابط الشرعية. والمقياس في ذلك هو ما قرره القرآن الكريم:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: 77]،

فلا إفراط في الدنيا يلهي عن الآخرة، ولا زهد مغلوط يمنع من عمارتها.

إن الأمة بحاجة إلى نساء صالحات متعلمات واعيات، يعرفن أن كل جهد يبذل في خدمة الدين والمجتمع هو عبادة إذا صحّت النية وكان موافقًا للشرع. فالمرأة المسلمة لا تنظر إلى النجاح بمعزل عن مرضاة الله، بل ترى أن أعظم إنجاز هو أن تلقى الله وقد جمعت بين عمارة الأرض وحفظ الدين.

الباب السابع: نماذج مشرقة من حياة النساء المسلمات

الفصل الأول: خديجة بنت خويلد " مثال الزوجة الداعمة وصاحبة البذل

خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، سيدة نساء قريش في زمانها، وُلدت في بيت شرف وكرم، وعُرفت منذ صغرها بالحكمة ورجاحة العقل، وبالطهر والعفاف، حتى لُقبت في الجاهلية بـ"الطاهرة". كانت ذات مال وتجارة واسعة، تدير أعمالها بحنكة، وتوظف الرجال الأكفاء لإدارة شؤون تجارتها.

حين بلغ النبي ﷺ سن الخامسة والعشرين، اختارته خديجة ليخرج في تجارة لها إلى الشام بعد أن سمعت عن صدقه وأمانته. عاد من رحلته تلك بربح كبير، ومعه شهادة غلامها ميسرة بما رآه من أخلاقه النبيلة وعجيب أمره في السفر. حينها شعرت خديجة أن هذا الرجل ليس كغيره، فكانت هي من رغبت في الاقتران به، وتم الزواج المبارك الذي جمع بين أطهر قلبين.

كانت خديجة رضي الله عنها الزوجة التي يفخر بها أي رجل، فلم تكن زوجة فحسب، بل كانت سنداً قوياً وداعماً ثابتًا. وحين نزل الوحي على النبي ﷺ في غار حراء لأول مرة، ورجع فزعًا وهو يقول: «زملوني، زملوني»، كانت خديجة أول من هدأ روعه، وأكدت له أن الله لن يخزيه أبداً، فقالت كلماتها الخالدة:

"كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق".

لم تكتف خديجة بالكلمات، بل بذلت مالها كله في سبيل الدعوة، فكانت تمول النبي ﷺ وأصحابه، وتتحمل معه أعباء الحصار في شعب أبي طالب. صبرت على الجوع والحرمان، وبقيت ثابتة حتى توفاها الله في عام الحزن، فكان فقدها جرحًا عميقًا في قلب النبي ﷺ، حتى كان يكثر من ذكرها ويثني عليها، ويقول:

"آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد ولم يرزقني من غيرها".

إن خديجة رضي الله عنها مدرسة في الوفاء والدعم النفسي والمعنوي والمادي للزوج، وفي الثبات على المبادئ. على المرأة المسلمة اليوم أن تتخذ منها قدوة، فتكون داعمة لزوجها في الحق، وصابرة في الأزمات، وباذلة لما تستطيع في سبيل رضا الله.

فخديجة لم تكن عظيمة لأنها امتلكت المال فقط، بل لأنها وضعت المال في خدمة الدين، ولم تكن قوية لأنها كانت سيدة قريش فحسب، بل لأنها سخرت مكانتها لتقوية الحق ودعم الرسالة.

الفصل الثاني: عائشة بنت أبي بكر " العالمة المحدثة وفقيهة الأمة

عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي اللّه عنهما، أم المؤمنين، زوج النبي ﷺ، وحبيبة قلبه، التي قال عنها:

"فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"

(رواه البخاري ومسلم).

وُلدت في بيت الصديق، بيت الإيمان والصدق، ونشأت في بيئة طاهرة مؤمنة، فحفظت القرآن صغيراً، وتفتحت مداركها على نور الإسلام، وتربت على يد أعظم معلم وهو رسول اللّه ﷺ.

كانت عائشة رضي اللّه عنها ذات ذكاء وقّاد وفطنة نادرة، حتى كانت تسأل وتستفسر وتناقش في دقائق المسائل، ولا يمنعها الحياء الشرعي من طلب العلم النافع. حفظت من النبي ﷺ آلاف الأحاديث، وروت عنه ما يقارب (2210) حديثًا، فأصبحت مرجعًا للمسلمين في شؤون الدين والفقه.

قال عروة بن الزبير رضي اللّه عنه:

"ما رأيت أحداً أعلم بالفقه، ولا بالطب، ولا بالشعر، من عائشة".

كانت عائشة مرجعًا لكبار الصحابة في مسائل الفقه، فيسألونها، فتجيبهم بدقة، وتستدل بالقرآن والسنة. وكانت تحرص على إيصال العلم بأسلوب سهل قريب من القلوب. ولم يقتصر علمها على الفقه فقط، بل كانت ضليعة في اللغة والشعر والتاريخ، مما جعلها منارات العلم في عصرها.

كما كانت مثالًا في الصبر والاحتساب؛ فقد مرت بفتنة عظيمة في حادثة الإفك، لكنها صبرت حتى برأها اللّه في قرآن يُتلى إلى يوم القيامة، في قوله تعالى:

{إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنكُمْ} [النور: 11]

ورغم ما تعرضت له، بقي قلبها نقيًا، ولسانها ذاكرًا، ورسالتها واضحة في نشر العلم وخدمة الإسلام. وكانت لا تتأخر عن نصح الأمة وتصحيح المفاهيم، محافظة على حدود اللّه في أقوالها وأفعالها.

إن عائشة رضي اللّه عنها تمثل النموذج الراقي للمرأة المسلمة العالمة، التي جمعت بين العبادة والعلم وخدمة الدين. وعلى النساء اليوم أن يدركن أن طلب العلم الشرعي فريضة، وأنه سبيل لنهضة الأمة، وأن الجمع بين العلم والعمل الصالح هو أسمى درجات الكمال الإنساني.

الفصل الثالث: أسماء بنت أبي بكر " رمز الشجاعة والصبر والتضحية

أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي اللّه عنها، التي لقبت بـ"ذات النطاقين" بسبب قصتها المشهورة مع زوجها الزبير بن العوام، تمثل نموذجًا راسخًا في الشجاعة، والصبر، والتضحية في سبيل اللّه.

كانت أسماء امرأة قوية الإرادة، مؤمنة، صابرة، تحملت الكثير في سبيل دعم النبي ﷺ والدعوة الإسلامية. من أشهر مواقفها عندما أمر النبي ﷺ بالهجرة إلى المدينة، وكانت مسؤولة عن إمداد النبي ﷺ بالطعام والزاد، وكانت تبذل جهداً كبيراً رغم صعوبة الموقف ومراقبة الأعداء.

وكانت أسماء مثالًا في الصبر على الشدائد، فقد عاشت مع زوجها في حروب وسجون وملاحقات، ولكنها لم تضعف ولم تتراجع، بل زادت إيمانًا وعزيمة.

تُروى قصتها في التضحية حيث قطعت نطاقيها لنقل الطعام إلى النبي ﷺ في الغار، وهي تضحيات تعبر عن قوة الإيمان وصدق الحب للّه ولرسوله.

كانت أسماء رضي اللّه عنها أيضًا من النساء اللواتي وقفن إلى جانب النبي ﷺ في المواقف الحاسمة، وكانت صوتًا نقيًا في نصح الأمة والدعوة إلى الصبر والثبات.

إن سيرتها تعلّم المرأة المسلمة أن الشجاعة ليست في القوة الجسدية فقط، بل في القوة الروحية، والاحتساب، والتضحيات من أجل الحق.

الفصل الرابع: نسيبة بنت كعب " المقاتلة الصابرة في سبيل اللّه

نسيبة بنت كعب الأنصارية رضي اللّه عنها، هي واحدة من أعظم نساء الصحابة، وشهيدة من شهداء الإسلام، عُرفت بشجاعتها الفريدة وإخلاصها العظيم في سبيل اللّه ورسوله ﷺ.

كانت نسيبة امرأة قوية الإرادة، تميزت بحبها العميق للإسلام، وشجاعتها التي برهنت عليها في معارك عدة، منها غزوة أحد، حيث وقفت بجانب النبي ﷺ تدافع عنه بسلاحها، وتداوي جرحاه، وتحمى المسلمين من الأعداء.

روى المؤرخون أن نسيبة شاركت في القتال بنفسها، وحملت السيف والرمح، ولم تتردد في مواجهة الأخطار، حتى أصيبت بجروح شديدة، لكنها لم تبتئس أو تتراجع، بل استمرت في الدفاع عن الدين والمجتمع.

كما كانت نموذجًا للصبر والتحمل، فقد عانت من ضيق الأعداء، وفقدان أحبائها، لكنها ظلّت صابرة محتسبة، تقول:

"إنما الحياة لحظة فلتغتنمها بما ينفعك عند ربك".

نسيبة بنت كعب هي صورة المرأة المسلمة التي لا يحدها جنسها أو ضعفها الجسدي، بل تُقاس بقوة إيمانها وعزيمتها في سبيل اللّه. وهي دعوة لكل امرأة أن تتسلح بالصبر والثبات، وتشارك في نصرة الحق، والدفاع عن دينها ووطنها.

الفصل الخامس: رفيدة الأسلمية " رائدة العمل الطبي التطوعي في الإسلام

رفيدة الأسلمية رضي الله عنها، هي أول طبيبة في الإسلام وأمينة الشفاء للمسلمين في المعارك والغزوات، وتمثل نموذجًا نادرًا في العطاء والتضحية، حيث جمعت بين العلم والعمل والرحمة في خدمة دينها وأمتها.

كانت رفيدة من بني أسلم في المدينة المنورة، وعلّمت نفسها الطب والأدوية منذ الصغر، حتى أصبحت معروفة بمهارتها في علاج الجرحى، والمرضى، وخصوصًا في ساحات القتال. عندما بدأ النبي ﷺ وأصحابه في الجهاد والدفاع عن الدين، لم تكتف رفيدة بالدعاء أو الدعم النفسي، بل كانت في الميدان تقدم العلاج الطبي بيدها، وتواسي الجرحى، وتحفزهم على الصبر والثبات.

روت كتب السيرة كيف كانت تقدم الإسعافات الأولية للمجاهدين في غزوة بدر وأحد، وكانت تحضر معهم إلى ساحات القتال، تعالج الجرحى، وتحمل المصابين إلى أماكن الآمان، بالرغم من الخطر الشديد.

ولم يكن دور رفيدة فقط في الميدان، بل أسست مع نساء الأنصار مستشفى صغيرًا في المدينة، تستقبل فيه المرضى وتعلم النساء فنون الطب والعناية بالمرضى، فكانت رائدة في العمل الطبي التطوعي، وجعلت من مهنتها رسالة سامية تخدم الإسلام والمسلمين.

تُعلمنا رفيدة الأسلمية أن العمل الصالح لا يقتصر على نوع واحد، بل يمكن للمرأة أن تبرع في ميادين متعددة، طالما كان ذلك ضمن ضوابط الشريعة، وأن الجمع بين العلم والعمل من أعظم وسائل خدمة الدين.

إن حياة رفيدة تذكير لنا جميعًا بأهمية العلم النافع، والعمل المتواصل، والرحمة في خدمة المجتمع، وهي قدوة لكل امرأة مسلمة تطمح لأن تترك أثرًا طيبًا في حياتها وفيمن حولها.

خاتمة الكتاب

وبهذا نختتم رحلتنا مع هذا الكتاب الذي تناولنا فيه مكانة المرأة المسلمة وحدود تعاملها في مختلف جوانب الحياة، مستندين إلى هدي القرآن الكريم وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ومنطلقين من منهج الإسلام الوسطي الذي يجمع بين الالتزام والمرونة، بين العبادة والعمل، وبين الحياء والمسؤولية.

لقد رأينا كيف أن المرأة في الإسلام ليست مجرد كائن سلبي أو مهمش، بل هي فاعلة في بناء الأسرة والمجتمع، هي زوجة، وأم، وعاملة، وراعية، ومربية، وناشطة في خدمة دينها ووطنها، وكل ذلك في إطار يحفظ لها كرامتها وعفتها وحقوقها.

وإن من أعظم ما يمكن أن نختتم به هذا العمل هو أن ندعو كل امرأة مسلمة إلى الاعتزاز بدينها، والتمسك بحدود الله، والسير على نهج أمهات المؤمنين، مستلهِمةً من سيرهن العطرة الدروس والعبر، وملهمة في طريقها نحو الإيمان والعمل الصالح.

نسأل الله أن يوفقنا جميعًا لما يحب ويرضى، وأن يجعلنا من اللائي يستمعن القول فيتبعن أحسنه، وأن يكتب الأجر لكل من ساهم في إنجاح هذا العمل، وكل من يقرأه وينتفع به.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.